الفصـــل الثالث

الابداع الخالص

أولا: تجليات الابداع.

يعنى الابداع الخالص وجود نصوص فلسفية لا تعتمد لا على الوافد ولا على الموروث. إذ يستقل العقل بذاته ويضع نصا قائما بذاته اعتمادا على العقل الصريح، وبنية الموضوع. لم يعد النص بحاجة إلى مكونات من الخارج أو من الداخل كى يصوغ خطابه بل أصبح العقل قادرا بمكوناته الذاتية أن ينسج خطابا لا يحتاج إلى دعائم خارجية من الوافد أو من الموروث بعد أن تم تمثل الوافد وتنظير الموروث. لم يعد العقل بحاجة إلى عوامل مساعدة خارجية، "عكازين" خارجيين يستند عليهما. فقد بلغ حدا من النضج والاستقلال تجعله قادرا على أن يبدع خطابه المستقل دون إحالات إلى مكوناته الخارجية. يعتمد العقل فقط على طبيعته وقدرته على بناء الموضوع ووضع المقدمات والانتهاء إلى نتائج، والربط بينهما بمنطق محكم للاستدلال.

مقياس الابداع الخالص هنا شكلى خالص طبقا لمنهج تحليل المضمون وجدل الوافد والموروث، دراء لشبهتين. الأولى شبهة الاستشراق، أن علوم الحكمة مجرد نقل للوافد وامتداد له فى الحضارة الاسلامية مع بعض التشويه والخلط وسوء الفهم والتلوين بالدين حتى أتى الغرب ورفض هذه الشروح الاسلامية على الفلسفة اليونانية، وعاد إلى الأصول اليونانية ذاتها ينهل منها ويؤسس عليها النهضة الأوربية الحديثة. والثانية شبهة الاسلاميين الذين يرون فى علوم الحكمة فلسفة اسلامية تقليدية موازية لعلم الكلام دفاعا عن العقيدة، لا فرق بين الحكماء والمتكلمين. فالله موجود، والعالم مخلوق، والنفس خالدة تنال الجزاء طبقا للأعمال.

ولا يتعرض الابداع الخالص إلى مواطن الابداع. فتلك مهمة أهل الاختصاص، المناطقة والحكماء والرياضيون وعلماء الطبيعة. فالمناطقة هم الأقدر على معرفة مواطن الابداع فى المنطق العربى. والفلاسفة هم الأقدر على معرفة إبداع المسلمين فى علوم الحكمة إضافة إلى التصورات القديمة للعالم الغربية اليونانية الرومانية أو الشرقية الفارسية الهندية. والرياضيون هم الأقدر، كل فى ميدانه، الحساب، والهندسة، والفلك. والموسيقى على معرفة إبداعات العرب فيها بل وفى العلوم الموازية مثل الجبر،

والمناظر، والحيل، والأكر المتحركة، والمنجنيق أى العلوم الرياضية التطبيقية. وعلماء الطبيعة هم الأقدر على معرفة إضافات العرب فى علوم الطبيعة والكيمياء والطب والصيدلة والنبات والحيوان والمعادن.

ويمكن التطرق إلى الابداع الخالص بعدة طرق. الأولى التتبع التاريخى للابداع قرنا وراء قرن من عصر الترجمة الأول، فقد كان المترجمون مبدعين حتى العصر المتأخر حيث اتحد العقل بالذاكرة الواعية حفاظا على الابداع القديم. وميزة هذه الطريقة تتبع مراحل الابداع ومعرفة تطوره عبر العصور، والحكم على التاريخ، متى ساد النقل ومتى تحول إلى إبداع، ومتى أصبح إبداعا خالصا. وعيبها أنها تقطع ميادين الابداع، وتنتقل من الابداع المنطقى إلى العلمى إلى الفلسفى عبر العصور. فيتم التضحية بالعلوم لصالح التاريخ. فتنجزأ وحدة العلم لحساب النزعة "التاريخانية".

والطريقة الثانية عرض الابداع الخالص طبقا للعلوم: المنطق، والحكمة، طبيعيات وإلهيات ونفسانيات، والعلوم الرياضية والطبيعية حتى يسهل الحكم فى أى علم كان الابداع أكثر. ويلاحظ أنه كان فى العلوم الرياضية والطبيعية والذى دخل كجزء من تاريخ العلم الغربى فى العصر الوسيط حيث توضع الحضارة الاسلامية طبقا للتحقيب الغربى وكأن تاريخ الغرب، القديم والوسيط والحديث، هو تاريخ العالم كله وتاريخ الحضارات السابقة على الغرب والمعاصرة له. وفى نفس الوقت عرض الابداعات فى كل علم على نحو تاريخى لمعرفة تطوره. ومن ثم الجمع بين ميزة المنهج التاريخى وفى نفس الوقت الحرص على وحدة كل علم وعدم التنقل جزئيا من علم إلى آخر.

ثانيا: الابداع المنطقى.

١- يحيى بن عدى. بدأ الابداع المنطقى عند المترجمين دون انتظار مرحلة تمثل الوافد وتنظير الموروث. فالابداع غير مشروط بالزمان. قد يكون مبكرا وقد يكون متأخرا.

أ- مثال ذلك مقالة **"فى تبيين الفصل بين صناعتى المنطق الفلسفى والنحو العربى" ليحيى بن عدى. (٣٦٤هـ).** تخلو من الوافد والموروث على حد سواء[١]. ويهدف المقال إلى تحقيق غرض وقصد وليس مجرد تجميع مادة كما هو الحال فى العرض. والغرض هو الموضوع، التمييز بين المنطق الفلسفى والنحو العربى، وهو نفس

---

(١) يحيى بن عدى بن حميد بن زكريا: فى تبيين الفصل بين صناعتى المنطق الفلسفى والنحو العربى، حققها جيرهارد إندرس، وأيضا مقالات ص ٤١٤-٤٢٤.

موضوع المناظرة الشهيرة بين متى بن يونس وأبى سعيد السيرافى عن الصلة بين المنطق اليونانى والنحو العربى[1].

ويشير يحيى بن عدى إلى نحو العرب وليس إلى منطق اليونان. ويغلب عليه مشكلة "اللفظ والمعنى". فالمنطق دلالة الألفاظ على الأمور الكلية. والنحو صناعة الالفاظ لتحريكها وتسكينها سواء كانت دالة أو غير دالة. والمنهج معرفة الحدود اى التعريفات وهى الخطوة المنطقية الأولى. ويبين تحليل افعال البيان مسار الفكر الاستنباطى البرهان، والانتقال من المقدمات إلى النتائج. ويبدأ المقال بالبسملة ولا ينتهى بتعبيرات إيمانية. يكفى الاعلان الأول عن الجو الثقافى العام للحضارة التى ينتمى اليها بصرف النظر عن طائفته.

ب- وفى **"مقالة أن العرض ليس جنسا للتسع المقولات العرضية"** له أيضا يغيب الوافد والموروث كلية، ويتم الاعتماد على العقل الخالص وحده. والموضوع مشترك بين المنطق والطبيعيات وما بعد الطبيعة، بين المقولات العشر، والجوهر والأعراض، والجوهر الأول. والمقالة أقرب إلى المنطق منها إلى الطبيعة وما بعد الطبيعة. والغاية إثبات أن العرض ليس جنسا للمقولات التسع حتى لا يقع فى التصور الهرمى للأسماء الخمس مفضلا تصور المركز والمحيط، التصور الشمسى. أو التصور الدائرى المركزى.

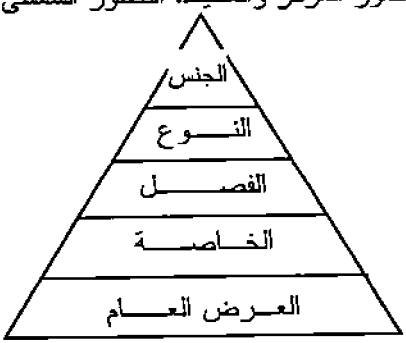

التصـــور الهـــرمى

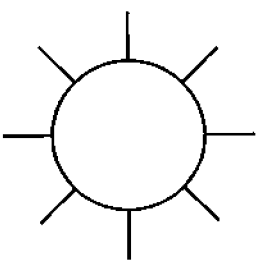

التصـــور الشمـــسى

يعتمد يحيى بن عدى على العقل الخالص وعلى منطق البرهان. لذلك يكثر استعمال أفعال البيان "ومن البين"، والاستدلال "اذا كان ذلك كذلك"، والانتهاء إلى "وذلك ما أردنا أن نبين". ولا تزيد العبارات الايمانية عن البسملة الأولى[2].

---

(١) انظر دراستنا: جدل الوافد والموروث، قراءة فى المناظرة بين المنطق والنحو بين متى بن يونس وأبى سعيد السيرافى، هموم الفكر والوطن جـ١ التراث والعصر والحداثة، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨ ص ١٠٧-١١٨.

(٢) مقالات ص ١٤٤-١٤٧، فمن البين (٣)، اذا كان ذلك كذلك (٢)، برهان ذلك (١).

جـ- وفى "**الحاجة إلى معرفة ماهيات الجنس والفصل والنوع والخاصة والعرض فى معرفة البرهان**" له أيضا إجابة على سؤال من أبى حاتم السجستانى عن الصلة بين الأسماء الخمسة والبرهان، وهى الأسماء التى وضعها فرفوريوس وأعجب بها المسلمون لنسقها الرياضى المنطقى. القياس يحتاج إلى حد أوسط، اشتراك المحمول فى المقدمتين الكبرى والصغرى. فى حين أن الأسماء الخمسة أيضا متداخلة فيما بينها ومشتركة فى مركز واحد. القياس يحتاج إلى مقدمتين فقط وليس إلى أسماء خمسة. البرهان فى حاجة إلى طبقتين لا أكثر. ويتكلم يحيى بن عدى بضمير المتكلم المفرد. والبداية البسملة والنهاية بالحمدلة مع الدعوات للسائل وطلب التوفيق له. ويتصف الله بصفات الحكمة مثل ذو الحكمة والجود والحول، ولى العدل، وواهب العقل.(١)

٢- **عمر بن سهلان الساوى**. ويستمر الابداع المنطقى من القرن الثالث عند يحيى بن عدى إلى القرن الرابع فى "**البصائر النصيرية فى علم المنطق**" **لعمر بن سهلان الساوى (٤٥٠هـ)**. ويبلغ درجة عالية من التجريد بالرغم من بعض الأمثلة فيه. وتبدو أهميته فى تحقيق محمد عبده له واستعماله فى تدريسه فى الأزهر بل تقرير تدريسه عام ١٣١٦هـ ربما ليس لما فيه من قدرة على العرض النظرى الخالص بل لأنه أقرب إلى العرض النسقى الواضح التقليدى التعليمى مثل منطق "الشفاء" لابن سينا على نحو مختصر ومركز(٢).

وهو مثل ابن سينا فى الصمت عن مصادره. وكلاهما من نفس العصر الذين بلغت فيه الحضارة الاسلامية الذروة فى الابداع الحضارى، مع أن معرفة المتقدمين شرط الابداع. وبالرغم من التجريد الا أن مسار الفكر واضح. ويتم تخيل الاعتراض مسبقا للرد عليه كما هو الحال فى أسلوب التدوين فى العلوم الاسلامية القديمة. وتدل أفعال البيان على الرغبة فى التوضيح والاجابة مسبقا على تساؤلات القارىء، فهو جزء من الخطاب. ويحيل اللاحق إلى السابق والسابق إلى اللاحق تذكيرا بوحدة الاستدلال وباختصار وتركيز شديدين.(٣)

ويتم تحويل المنطق كله إلى منطق اليقين واستبعاد منطق الظن الجدل والخطابة

---

(١) مقالات ص ٢٦٣-٢٦٥.

(٢) عمر بن سهلان الساوى: البصائر النصيرية فى علم المنطق، تحقيق العلامة المرحوم الشيخ محمد عبده، صبيح (د.ت).

(٣) وتعليقات محمد عبده تقليدية أزهرية لا جديد فيها ولا تطوير للمنطق وإضافة عليه بعد تسعة قرون.

والشعر، والاكتفاء بمنطق البرهان. فبعد مقدمتين عن ماهية المنطق وموضوعه يتم عرض منطق اليقين فى ثلاثة عناصر، المفردات والتصور والتصديق وليست القسمة الرباعية الشهيرة باضافة البرهان. وفى التصديق يتم عرض المفردات والحجج وموادها والبرهان والمغالطات فى القياس. ويضاف تقسيم العلوم كجزء من المنطق، والتعرض لصلة المنطق بالطبيعة، وإحالته إلى الفطرة. فالانسان الطبيعى، بفطرته، يستغنى عن المنطق. يكفيه الحس والعقل والبداهات حتى اذا وقع فى الخطأ ظهرت الحاجة إلى المنطق[1]. وقد تكون الفطرة تعبيرا فى اللاوعى المعرفى عن الوحى الطبيعى من الموروث القديم خاصة وأنها لفظ قرآنى[2].

وبالرغم من عدم وجود الوافد أو الموروث صراحة فى صيغة أسماء أعلام إلا أن الوافد يبدو فى بعض الألفاظ المعربة مثل قاطيغورياس، باريرمنياس دون إشارة صريحة إلى اليونان.

أما الموروث فهو الأكثر وضوحا على نحو خافت وراء التنظير العقلى الخالص. فيشار إلى أفضل المتأخرين. وهو فى رأى محمد عبده ابن سينا. والتحول من الاسم إلى اللقب هو فى حد ذاته انتقال من الشخص إلى الرمز، ومن الخاص إلى العام، ومن النقل إلى الابداع. ولم يحدث ذلك مع اليونان فحسب، الانتقال من أرسطو إلى الحكيم أو المعلم الأول، ومن جالينوس إلى فاضل المتقدمين والمتأخرين، ومن سقراط إلى أحكم البشر، ومن أفلاطون إلى صاحب الأيد والنور، ومن أفلوطين إلى الشيخ اليونانى. ويستشهد بأية قرآنية واحدة {واسأل القرية} كمثل على المجاز كما هى العادة فى علم أصول الفقه[3]. كما يظهر الموروث كمادة للمنطق مثل أقسام العلل وهو مبحث مشترك بين المنطق وعلم أصول الفقه. كما تعطى بعض الأمثلة الفقهية مثل انتقال الصلاة والصوم من المعنى الأول الاشتقاقى اللغوى إلى المعنى الثانى الاصطلاحى، واسم الخمر الذى يطلق على مسميات كثيرة. لذلك يشار إلى النحويين ولغة العرب. وأمثلة التناقض من الموروث مثل عبد الله، والاختلاف فى القوة والفعل مثل الخمر مسكر أو فى الزمان مثل تغير الصلاة من بيت المقدس إلى البيت الحرام. كما تعطى نماذج من التواتر والمشهورات لمقدمات

---

(١) السابق ص ٣٠٧-٣٠٨/٣٢٥-٣٢٦.

(٢) الانسان فى مبدأ الفطرة خال عن تحقق الأشياء ص٤، وليس هذا من مقتضيات الفطرة ص ٢٨٧، من حيث هى مشهورة نعرف أنها غير فطرية ص ٢٨٨.

(٣) أفضل المتأخرين، السابق ص ٢٠/١٤٢/١٧٠/٣٥/٣٤٩/١١/٣٤/٣٦/١٢٢/٢٨٥/٢٩٠/٥/٧/٨٨.

الأقيسة من حديث "أنصر أخاك ظالما أو مظلوما"[1]. بل ان الهدف من المنطق ذاته هو التوصل إلى الصواب والخطأ فى العقائد أى أنه أقرب إلى الجدل المعروف فى علم الكلام. فهو منطق عملى يهدف إلى اثبات صدق العقيدة ونيل النعيم الدائم إلى جوار رب العالمين والنجاة فى الدنيا والآخرة. فهو وسيلة عدم الوقوع فى الغلط فى العلوم الالهية. وكالعادة البداية بالبسملة والصلاة على محمد خير الخلف وآل الفترة، والنهاية بالاستعانة بالله والاتكال عليه والدعوة للعصمة من الزلل والخلل فى القوى والعمل. وما بين البداية والنهاية آفة العلوم، الانتقال من مدح الله إلى مدح السلطان. فالابداع المنطقى كما أنه وسيلة لنيل حسن الدار فى الآخرة هو وسيلة للتقرب إلى مجلس مولانا الأجل السيد نصير الدين. لذلك سمى البصائر "النصيرية"، ظهير الاسلام بهاء الدولة، ونيل الرضا من الله والسلطان، فى الآخرة والدنيا جمعا بين الحسنيين. فأذن له صاحب الحضرة الشريفة والسدة المنيفة للخادم أن يحرر كتاب المنطق[2].

٣- **ابن رشد**. وبالرغم من شهرة ابن رشد (٥٩٥هـ) وعقلانيته ودفاعه عن الحكمة بأنها النظر فى الأشياء كما تقتضيه طبيعة البرهان إلا أن مؤلفاته الابداعية الخالية من الوافد والموروث قليلة للغاية. على الرغم من الأحكام العامة التى تقال على إبداعاته فى كتبه الطبيعية والفلكية التى هى أقرب إلى المراجعات الجزئية لأحكام السابقين، وهى الأحكام التى لا تعتمد على تحليل المضمون لكل عمل كوحدة قائمة بذاتها لمعرفة نوعها الأدبى فى جدل الوافد والموروث. فهو اما شارح أو ملخص أو جامع لأرسطو وأفلاطون أو عارض لجالينوس أو متكلم فيلسوف فقيه فى الموروث. ومع ذلك فان رسالته فى **"حد الشخص"** من رسائله المنطقية الصغيرة يغيب فيها الوافد والموروث على حد سواء. وتتسم الرسالة بالوضوح والاتساق وبيان وجه الغلط فى القول وفى رفع الشك عن الحدود

---

(١) قاطيغورياس، باريرمنياس (٢)، السابق ص ٨٥/٦٦/٣٢.

(٢) فقد كانت دواعى الهمة ومبادىء العزيمة تتقاضا فى الانتهاض للتقرب إلى مجلس مولانا الأجل السيد نصير الدين، ظهير الاسلام، بهاء الدولة لا فى الملك، عين خراسان، أبى القاسم محمود بن أبى ثوبة زاده الله عظم القدر وحسن الذكر ونفاذ الأمر يجمع كتاب فى بعض العلوم الحقيقية، وإهداء أفضل ما تناله قوى البشر وتنتهى اليه غايات قوى العزم، ويحل عرى الاجماع الجزم قصور باعى وحذيق خطوى عن الانتهاض إلى فضيلة من الفضائل العلمية لم يملك زمامها ولم يحدر لثامها، ولم تسبر أغوارها، ولم تستبن ظلمها وأنوارها، والتقرب إلى المستغنى عن جدوى القرب بشوه وجه الأدب إلا اذا تداركه الاذن بالتحسين وتلقاه الرضى بحلى التزين. فلا جرم صرفنى الحزم عن إمضاء ما شارخه العزم متطلعا لتأشير الاذن الصادر عن حضرتة الشريفة وسدته المنيفة إلى أن اتصل بالخادم أمره العالى بتحرير كتاب فى المنطق... وسميته "البصائر النصيرية" تفاؤلا بيمن ألقابه وتوصلا اليه بأسبابه" السابق ص ٣-٤.

وازالة التناقض. يضع ابن رشد المقدمات، وينتهى إلى النتائج المتسقة مع المقدمات، ويصوغ الاستدلالات والبراهين وبالتالى يرتفع الشك عما قيل فى حد الشخص، وأن الحدود تكون للأمور الكلية لا للأشخاص. يعرض للشك ولأسبابه ثم يحاول دفعه، وينتهى إلى الحكم، وهو أن كل شيء له حكم. وإذا دخل مع شخص آخر يكون كليا[1].

٤- **أفضل الدين الخونجى.** وفى العصور المتأخرة بعد القرن السادس بدأ الابداع الخالص الذى لا يعتمد لا على الوافد ولا على الموروث قائما على صورية خالصة ودرجة عالية من التجريد لدرجة غياب الهدف والقصد والاتجاه والاشكال وكأن البناء النظرى المستقل يحتوى على عناصر فنائه ومؤشرات نهايته وهى الصورية الفارغة، وكأن الوافد والموروث كانا يمدان التأليف بمادة حية خصبة ومتجددة. فلما انقطع الرافدان جف المصب مهما حاولت الشروح والملخصات على المتون من إعادة الحياة لها بادخال العلوم النقلية، اللغوية والفقهية أو النقلية العقلية، الكلام والتصوف، كمادة للشرح.

مثال ذلك "**الجمل**" لأفضل الدين الخونجى (٥٩٠-٦٤٦هـ). فهو نص مركز للغاية وكأنه صب من حديد. لا يصوب نحو هدف أو قصد. بل ويخلو من التبويب والتقسيم الذى يبين أقسام الموضوع، مقدماته ونتائجه، تطوره وبنيته. يخلو من الأمثلة التى تعطى الوصف الشكلى للفكر حيوية وتعيده إلى عالم الأشياء. وبطبيعة الحال يخلو من الوافد والموروث معا. كما يخلو من أسماء الاعلام والآيات والأحاديث. بل ويخلو من أية دلالة أو مؤشر حضارى، باستثناء البدايات والنهايات الايمانية، بالبسملة وصلاة على مولانا محمد وآله وصحبه فى البداية، والترحم على المؤلف، والاعتماد على الله فى حسن التوفيق بمنه وفضله وطلب العون منه على ما يقرب اليه تزلفا بسيدنا محمد وآله الطاهرين. التجريد إلى الحد الأقصى من جانب والايمانيات إلى الحد الأقصى من جانب آخر[2].

٥- **ابن العسال.** وقد أبدع فى المنطق أسعد أبو الفرج هبة الله بن العسال (القرن السابع) فى "**مقالة فى المنطق**" تعتمد على العقل وحده. وتتضمن مبحث الالفاظ والقضايا وجهاتها وشروط التناقض والقياس والدليل والنظر[3]. ويساعد على ذلك الطابع العقلى الصورى الخالص الذى لا تظهر فيه خصوصية الفكر وإطاره الحضارى. والقضايا لب

---

(١) ابن رشد: حد الشخص، مقالات فى المنطق والعلم الطبيعى، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) فضل الدين الخونجى: الجمل، تحقيق وتقديم سعد غراب، مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية ص ٢٩-٣٩.

(٣) ابن العسال: مقالة فى المنطق، نشر معلوف، إده، شيخو، مجلة المشرق، بيروت ١٩١١ ص ١٣٤-١٤٧.

المنطق، جهاتها وتناقضاتها وشروطها. فالمنطق صورة الفكر. وهو ما يستغرق كل المقالة. أما مادته فهى إما اليقينيات فى البرهان، أو المسلمات العامة فى الجدل أو المظنونات وهى الخطابة أو المشبهات بالحق وهى المغالطة أو المخيلات وهو الشعر. وفى الدليل يظهر التقابل الكلامى بين الدليل النقلى والدليل العقلى. ويمكن تركيب قياس من أدلة عقلية كما هو الحال فى المنطق أو عقلية نقلية كما هو الحال فى الأصول ولكن لا يمكن تركيبه من أدلة نقلية لأن النقل لا يثبت بالعقل أو بالنقل بل بالحواس أو بأوائل العقول. والدليل النقلى لا يفيد اليقين لأنه مبنى على نقل اللغات وعدم النسخ والخلو من المعارض العقلى. فالدليل النقلى ظنى والدليل العقلى قطعى، والظن لا يعارض العقل بل يمكن تأويل النقل الصحيح بالعقل الصريح. والنظر يفيد العلم، ومجموع علمين يفيد علما ثالثا. والدليل موجب العلم. ويكون الدليل عقليا أو حسيا، استنباطا أو استقراء.

٦- الكاتبى. وفى "الرسالة الشمسية فى القواعد المنطقية" لنجم الدين عمر بن على القزوينى المعروف بالكاتبى (٦٧٥/٤٩٣ هـ) يتضح الابداع الخالص. فالمنطق أكثر العلوم إمكانية للاستقلال العقلى فيه لما فيه من تجريد دون ما حاجة إلى إحالة خارجية أو داخلية بعكس العلوم الطبيعية. يتوجه المنطق نحو صورة الفكر ومادته. لذلك يمتاز بالوضوح والترتيب والدقة والتركيز والأسلوب الرياضى دون زيادة أو حشو. ومع ذلك دلالاته محدودة إلا من قدرة العقلية الدينية الفقهية المرتبطة بالعالم وبحياة الناس على هذا المستوى من التجريد العقلى. يشار فقط إلى المتقدمين لوضع مسار العلم ووصف تقدمه حتى اكتماله فى لحظة الابداع الخالص مع وضع جداول عامة وشارحه خاصة لاشكال القياس التى يصعب استيعابها دون رسوم بيانية[١]. وهناك إحساس بالجدة والأصالة وعدم الاتباع مع ضرورة الالتزام بأصول العلم وإضافة بعض الزيادات المحسنة لقبوله[٢]. فبعد المقدمة عن ماهية المنطق وموضوعه يقوم المنطق على بنية ثلاثية، المفردات، والقضايا وأحكامها، والقياس. مع خاتمة فى مواد الأقيسة وأجزاء العلوم أى مادة المنطق وتصنيف العلوم. فالمفردات تعادل التصورات ولكن بمصطلح

---

(١) نجم الدين عمر بن على القزوينى المعروف بالكاتبى: الرسالة الخمسية فى القواعد المنطقية، مع شرح قطب الدين محمود بن محمد الرازى: تحرير القواعد المنطقية، حاشية السيد الشريف على بن محمد الجرجانى، مصطفى البابى الحلبى، القاهرة ١٩٤٨، طـ١ الثانية ص ١٤٩/١٥١/١٥٤-١٥٨.

(٢) تحرير كتاب فى المنطق جامع لقواعده، حاو لأصوله وضوابطه.. وشرعت فى ثبته وكتابته مستلزما أن لا أخل بشىء يعتد به من القواعد والضوابط، مع زيادات شريفة، ونكت لطيفة من عندى غير تابع لأحد من الخلائق بل للحق الصريح أتته الباطل من بين يديه ولا من خلفه"، السابق ص ٣.

لغوى، والقضايا وأحكامها أقرب إلى البرهان الذى يسبق القياس. فمسار المنطق من اللغة إلى الفكر، من الألفاظ إلى البراهين.

وفى البدايات والنهايات التقليدية، بعد البسملة والحمدلة تظهر صفات الله المنطقية الطبيعية مثل الله الذى أبدع نظام الوجود، واخترع ماهيات الأشياء بمقتضى الجود، وأنشا بقدرته أنواع الجواهر العقلية، وأفاض برحمته محركات الأجرام السماوية، والصلاة على ذوات النفس القدسية المنزهة عن الكدورات الانسانية، وفى نفس الوقت الصلاة على سيدنا محمد صاحب الآيات والمعجزات وعلى آله وأصحابه التابعين للحجج والبينات، جمعا بين التنزيه العقلى والتشبيه الحسى. والاعتصام بحبل التوفيق من واهب العقل، والتوكل على وجوده المتعين للخير والعدالة فهو خير موفق ومعين. ثم يتم الانتقال بسهولة ويسر من مدح الله إلى مدح السلطان، ومن الثناء على الله إلى الثناء على السلطان، ومن صفات الله الكاملة إلى صفات السلطان الكاملة، ومن التقرب والزلفى إلى الله إلى التقرب والزلفى للسلطان. فالتأليف تم باشاراة من السلطان المؤيد من كافة الخلق والذى يتجه له القاصد والدانى، ويتبعه المطيع والعاصى، الولى الصدر الصاحب المعظم العالم الفاضل القبول المنعم المحسن، الحسيب النسيب، ذو المناقب والمفاخر، الشمس والبهاء والملك والقطب، والصدر والصاحب إلى آخر هذه المبالغات بحيث لا يبدو فرق بين الله والسلطان[1].

ولما عاشت الحضارة الاسلامية على ذاتها، تجترما أبدعته أولا بالعقل كى تدونه ثانيا من الذاكرة ظهرت الشروح والملخصات والحواشى والتخريجات على نص قديم تقلل من تجريده وتضيف اليه مواد من العلوم النقلية السائدة خاصة الفقهية أو العقلية النقلية خاصة الكلام والفلسفة بعد أن اتحدا معا فى هذه العصور المتأخرة. فشرح قطب الدين محمود بن محمد الرازى (٧٦٦هـ) "**الرسالة الشمسية**" فى "**تحرير القواعد المنطقية**"

---

(١) فأشار إلى من سعد بلطف الحق، وامتاز بتأييده من بين كافة الخلق، ومال إلى جانبه الدانى والقاصى، وأفلح بمتابعته المطيع والعاصى، وهو الولى الصدر، الصاحب المعظم، العالم الفاضل، القبول المنعم، المحسن، الحسيب النسيب، ذو المناقب والمفاخر، شمس الملة والدين، بهاء الاسلام والمسلمين، قدوة الأكابر والأماثل، ملك الصدور والأفاضل، قطب الأعالى، فلك المعالى، محمد بن المولى، الصدر الأعظم، الصاحب الأعظم، دستور الآفاق، أصف الزمان، ملك وزراء الشرق والغرب، صاحب ديوان الممالك، بهاء الحق والدين، ومؤيد علماء الاسلام والمسلمين، قطب الملوك والسلاطين محمد، أدام الله ظلالهما، وضاعف جلالهما الذى مع حداثة سنه فاق بالسعادات الأبدية والكرامات السرمدية، واختص بالفضائل الجميلة والخصال الحميدة"، السابق ص ٣-٤.

ثم أضاف اليه السيد الشريف الجرجانى (٨١٦هـ) "**حاشية على تحرير القواعد المنطقية**" على النحو الآتى:

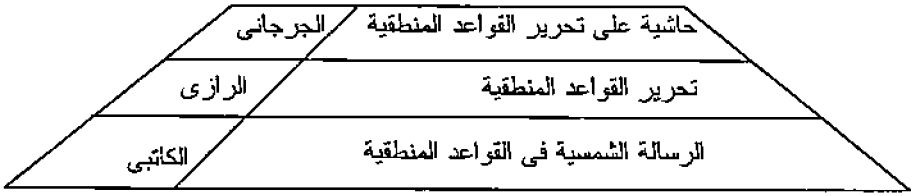

وفى الشرح والحاشية توضع مادة الفكر على صورته. ويضاف حد الفلسفة للمنطق ثم إخراج المنطق من الآيات القرآنية[١]. فالمنطق آلة تعصم الذهن من الخطأ. إنما أتت أغلاط الفلسفة من سوء تطبيقها كما لاحظ الغزالى من قبل فى "مقاصد الفلاسفة". وقد تأتى المادة من الطبيعيات مثل "الحكمة السعيدية" أو من الالهيات سواء من الفلسفة نموذج "المثل الأفلاطونية" أو من الفلسفة الالهية عند ابن سبعين. كما يستعمل الموروث الدينى لشرح ألفاظ المنطق مثل امتناع الكلى فى الخارج كشريك البارى عز اسمه، وأن الوجود واحد مع امتناع غيره كالبارى عز اسمه، وأن الوجود غير متناه كالنفس الناطقة. كما يستعمل القرآن الحر كأمثلة فى القضايا. هذا بالاضافة إلى البدايات والنهايات الايمانية التقليدية، البسملة والحمدلة، مع ظهور صفات الله المنطقية مثل واهب العقل، والصلاة على محمد وآله، منجى الخلائق من الغواية، وأصحابه من أهل الدراية [٢].

٧- **الجرجانى**. واستمرت الشروح المتتالية على نفس النص العمدة فى القرنين التاسع والعاشر مثل "**الغرة**" **للجرجانى (٨١٦هـ) مع "شرح خضر بن محمد بن على الرازى" (٨٥٠هـ) و"شرح عيسى بن محمد بن عبد الله الايجى الصفوى"(٩٥٣هـ)**[٣]. ازدهر المنطق بعد ابن رشد خاصة فى المشرق عند الشيعة. ومن ثم يخطىء الحكم الشائع أن الشروح والملخصات خالية من الابداع. يكفى قدرتها على التجريد والتنظير وبناء الموضوع اعتمادا على العقل وحده، واختفاء روافد الوافد والموروث الا من استعمال بقايا الموروث فى اللاوعى المعرفى من علم الأصول بشقيه، أصول الدين

---

(١) وذلك مثل ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾.

(٢) مثل الانسان فى خسر.

الانسان ليس فى خسر، السابق ص ٨٩/١٧٠.

(٣) الجرجانى: الغرة فى المنطق، شرح خضر بن محمد بن على الرازى، وشرح عيسى بن محمد بن عبد الله الايجى الصفوى، حققه وقدم له وأعده د. البير نصرى نادر، دار المشرق، بيروت ١٩٨٣.

وأصول الفقه مع بعض تحليلات اللغة العربية، للموروث الثقافي المستمر. يغيب الوافد كلية باستثناء الحديث عن القدماء والمتأخرين أى الأوائل والأواخر فى مسار تاريخى عام دون تحديد لليونان أو لغيرهم من الغرب أو الشرق. ولا يذكر فخر الدين الرازى إلا مرة واحدة باعتباره من البيئة الثقافية للمنطقة. كما تظهر بعض المصطلحات الموروثة مثل الخبر. ولا يوجد فصل بين النص المشروح والنص الشارح بل الشرح إعادة كتابة للمشروح، إعادة فهم وإعادة عرض وإعادة تأليف دون الخروج على بنيته بل بتتبع مساره من البداية إلى النهاية. ويسمى ذلك "شرح مخروج" أى إعادة كتابة دون فصل بين النصين كما هو الحال فى "تفسير ما بعد الطبيعة" لابن رشد وفى باقى التفاسير الأخرى. ولا تذكر أسماء أعلام من الموروث بل مجرد الألقاب مثل الامام، السيد، خطوة على تحويل العلم إلى بنية مستقلة عن العلماء[1]. وقد يعاد بناء الموضوع على مستوى جديد من التحليل مثل بداية شرح الصفوى بتحليل قوى النفس الناطقة لأن المنطق والالهام قوتان لها على مذهب الحكماء[2].

والأسلوب موجز دون استطراد وحذف مباحث لا تليق بالكتاب. يقوم على الرد على الاعتراضات مسبقا إثباتا لاتساق الفكر، مع إشراك القارىء ودعوته للتأمل والفهم والتدبر وعدم الغلط، مع رد اللاحق للسابق، والسابق للاحق بيانا لوحدة الموضوع[3]. وفى البدايات والنهايات الايمانية يوازى الوحى المنطق أو يقابله أو يماثله، المنطق للمعرفة المكتسبة فى مقابل المعرفة عن طريق الوحى والالهام. يضاف إلى ذلك التعبيرات الصوفية والابتهالات الدينية الغالبة على العصر مع طلب التوفيق والعون والصواب مع الشكر والحمد والله أعلم[4].

٨- **السنوسى**. وقد يقوم المؤلف بشرح نفسه، نصا على نص، وفكرا على فكر، طالما غاب الموضوع وانتهى التراكم الفلسفى إلى حده الأقصى، وتوقف تواصل الأجيال. مثال ذلك "**شرح أبى عبد الله محمد بن يوسف السنوسى (٨٣٢-٨٩٥هـ) على مختصره فن المنطق**"[5]. الهدف شرح المختصر أو اختصار الشرح، من الأقل فالأكثر

---

(١) السابق ص ٢١/٣١-٣٢/٣٧-٣٨/٤٧/٨١-٨٢/١٠٠.

(٢) السابق ص ١٠٤/١٣٠/١٥٨/١٧١-١٧٢/١٧٧/١٨٨/٢٠٠.

(٣) فافهم (١٣)، فتدبر(٨)، فتأمل(٦)، فاحفظه(٣)، فلا تغفل(٢)، فلا تغلط(١).

(٤) السابق ص ٢١/٢٣/٦٨/٧٥/٩٦/١٠٠/١٥٨/١٨٠/١٦٦/٢١٤/٢١٧-٢٢٨.

(٥) طبعة أزهرية بنفس العنوان بلا ناشر أو محقق أو سنة النشر. ومع ذلك فى النهاية "على ذمة مصححة وملتزمه محمد صالح بن المرحوم محمد أكرم، السابق ص ١١٤.

أو من الأكثر فالأقل مما يدل على قدرة فائقة على التعبير عن العلم تركيزا وإسهابا، إختصارا وتطويلا. فقد استقل العلم عن العبارة، والمعنى عن الخطاب. غاية التركيز الاستفادة منه فى المقاصد الشرعية الأخروية وإرشاد العقل بدلا من التحير وتشتت الأنظار. قد لا يتضمن جديدا بالنسبة لمادة المنطق، ولكن الابداع فيه فى الشكل واستقلال الموضوع عن مصدريه الرئيسيين فى الوافد والموروث.

يغيب الوافد كلية ولا حتى من بقايا الزمن الغابر باستثناء ذكر المعلم الأول أرسطوطاليس، والاسكندر كل منهما مرة واحدة فى الشرح كنوع من تحقيق المناط والحديث عن الأقدمين إحساسا بالتاريخ والانتقال من القدماء إلى المحدثين. كما يغيب الموروث فى الشرح إلا من زيادة فى الشرح اعتمادا على بعض العلوم النقلية مثل الحديث، صحيح مسلم، والامام ابن عرفة، والاستشهاد بحديث "الليل مثنى مثنى" على تركيب مقدمات القياس وعلى القرآن دون ذكر آيات محددة بل استعمالا لبعض الفاظه. كما تظهر بعض مصطلحات الكلام مثل صفات الخالق والرازق، والاستحقاق والصلاح والأصلح من المعتزلة. وتظهر أسماء الفارابى والخونجى ثم ابن سينا وابن رشد الحفيد [1]. وتظهر بعض أسماء الفرق كالحشوية والباطنية والنصارى. وهو منطق للاستعمال. لذلك يكثر التنبيه على فوائده ومخاطبة القارىء. ويضرب المثل الشهير على التناقض فى المنطق، التوجه من بيت المقدس إلى الكعبة فى مكة واستحالة الجمع بين الصدق والكذب فى قضية واحدة[2]. كما يشار إلى القدم والحدوث، وضرب المثل بالنبى والصحابة على التقدم فى الفضيلة. وكما يبدأ العمل بالبسملة وينتهى بالحمدلة، ترد التعبيرات الايمانية مثل طلب التوفيق من الله والاعتماد والتوكل عليه. وتكثر ألقاب سواء كانت من المؤلف أو الشارح أو الناسخ[3]. مما يدل على أنه فى قمة الابداع الخالص تكمن بذور تقليد القدماء [4].

ثالثا: الابداع الفلسفى

١- الرازى وبالرغم من أن الرازى مقل فى التأليف إلا انه مقالته الصغيرة **"فى إمارات الاقبال والدولة"** إبداع خالص، لا يظهر فيها الموروث ولا الوافد. بل أن موضوعها جديد على علوم الحكمة وهو فلسفة التاريخ ليس المقصود منها التقرب إلى

---

(١) الفارابى، الخونجى (٢)، ابن سينا، ابن رشد(١). القرآن، السابق ص ٥٦/٥٣/٣٥/٣٤/٩ الحديث ص ٥-٨.

(٢) فايدة، السابق ص ٤٠/٣٢/١٧، تنبيهات ص ٣٤، واعلم ص ٦/٣٧.

(٣) السابق ص ١١٣/٤/٢/٩٠/٧٦/٢١/٥/٦١/٣٩/١٥/٩٤/٤٣/٣٥-٣٤/١١٢/٣٤/١٢.

(٤) مثل الشيخ الامام، العارف بالله، القطب الربانى، المعلم العلامة، المحقق، السابق ص ٢.

أمراء أهل زمانه بل هى تحيل النشأة الدول وسقوطها، نشأتها بالعلم، والنظام، والأخلاق، والرياسة، والحلم، والصدق، والصداقة وميل الناس، والصفاء والعدل. فالأخلاق هى محرك التاريخ[1].

٢- **أبو سليمان السجستانى.** وبالرغم من ارتباط أبى سليمان السجستانى (٣٣١هـ) بتنظير الموروث والتنظير المباشر للواقع وتفاعل النص مع التاريخ الا أنه أيضا من أصحاب الابداع الخالص.

أ- ففى رسالة "**فى أن الأجرام العلوية ذوات أنفس ناطقة**" يتم وضع الموضوع بالتركيز على الذهن دون ما حاجة إلى وافد أو موروث[2]. فكل جسم طبيعى له حركة تخصه. تتحرك من المركز إلى المركز حركة مستقيمة فى أربعة اتجاهات. أما الأجرام السماوية فهى مخالفة لطبيعة الاستقامات إذ أنها تتحرك حركة خاصة، لا خفيفة ولا ثقيلة، تتحرك على المركز حركة دائرية. والدائرى أشرف من المستقيم. وفى نفس الوقت يظهر مسار الفكر، بداية ونهاية، مقدمات ونتائج، إحالة اللاحق إلى السابق والسابق إلى اللاحق، مع استيفاء الوسع وبذل الجهد مع خاتمة ايمانية، الحمدلة والصلاة على خاتم الرسالة محمد وآله[3].

ب- وفى رسالة "**فى الكمال الخاص بنوع الإنسان**" له أيضا لا وافد ولا موروث باستثناء الاعتماد على الأمم السالفة ومذاهبهم على العموم كثقافة عامة دون إحالات خاصة، وبداية بالوعى التاريخى. فالغاية الابانة عن الكمال الخاص بنوع الانسان ووصف الشخص الذى ظهرت فيه جوامع ذلك الكمال فى هذا الزمان من أجل سياسة العالم. فالحاجة تولد الابداع. وهم المستقبل يحيل إلى الماضى[4]. وفى البحث عن الذات يتم استعراض مذاهب القائلين فيها، الذات المتحدة التى يقول به النصارى والصوفية كما هو الحال فى شخصية السيد المسيح، والأجرام السماوية التى يقول بها الفلاسفة مع العقل الانسانى، والقائلون بأصلين والمتكلمون، كل ذلك كتراكم فلسفى فى الوعى التاريخى. ثم يبدأ تحليل قوى النفس على التوسط بين الافراط والتفريط. ويرصد تسع عشرة قوة طبقا

---

(١) الرازى: مقالات فى إمارات الاقبال والدولة، رسائل فلسفية ص ١٣٥-١٣٨.

(٢) أبو سليمان السجستانى: فى أن الاجرام العلوية ذوات أنفس، صوان الحكمة، تحقيق عبد الرحمن بدوى، طهران ١٩٧٤ ص ٣٦٧-٣٧١.

(٣) السابق ص ٣٦٩-٣٧١.

(٤) السابق ص ٣٧٧-٣٨٢.

لرمز الأعداد، ست يشارك فيها الحيوان الانسان مثل الموافقة والنزاع والشوق والحس والتخيل والوهم، وثلاث عشرة يختص بها الانسان: التصور، والفكر، والرأى، والعزيمة، والحدس، والذكاء، والذهن، والحفظ، والذكر، والانارة، والظن، والعلم، والعقل. والبداية فلسفية إيمانية. ويوصف الله بصفات الابداع مع الحمدلة مثل "فالق صبح ظلمته العدم بضياء وجود الجود، ويثبت حجج الالهية وبراهين الوحدانية". وأحيانا يدعو الشيعة أيضا إلى السلطان "ليتبين مولانا الملك أدام الله دولته وعلوه وأيد سلطانه"[1].

٣- **يحيى بن عدى.** ويبدو أن يحيى بن عدى قاسم مشترك فى معظم الأشكال الأدبية للتأليف والتراكم، وفى الابداع المنطقى والفلسفى.

أ- فى **"مقالة تبين أن كل متصل انما ينقسم إلى منفصل وغير ممكن أن ينقسم إلى مالا ينقسم" ليحيى بن عدى (٣٦٤هـ)** يغيب الوافد والموروث معا. والمؤلف من المترجمين الفلاسفة وأقرب عادة إلى تمثل الوافد كشكل أدبى. والموضوع بين الطبيعيات وما بعد الطبيعة. والغرض من المقال بيان أن كل متصل منقسم والمؤلف هو الذى يتحدث "نقول" وليس غيره "يقول". يشرح المعنى، ويعتمد على البين الظاهر. لذلك تكثر أفعال البيان وينتهى إلى "وذلك ما أردنا أن نبين" كما هو الحال فى البرهان الرياضى. ويعتمد على منهج القسمة مثل قسمة المنقسم إلى منقسم بالفعل ومنقسم بالقوة. وهو موضوع عقلى خالص يتم تناوله بالعقل الخالص ربما له دلالة بعيدة فى اثبات التوحيد الفعلى، مالا ينقسم، ولكن الميتافيزيقيا هى الغالبة، وهو توحيد عقلى غير مباشر. ويبدأ المقال بالبسملة وينتهى بالحمدلة. ويتصف الله بصفات الحكمة مثل: ذو الجود والحكمة، والحول ولى العدل، وواهب العقل[2].

ب- وفى **"رؤيا فى تعريف النفس"** له أيضا لا يظهر الوافد أو الموروث[3]. ويعتمد يحيى بن عدى على تجربة شخصية والتركيز عليها بالعقل الخالص مع استعمال منهج القسمة، والعد والاحصاء المشابه للسبر والتقسيم عند الأصوليين. فقد رأى رؤية، شخص يسأله عن ماهية النفس ويقول أنها مثارة أى كثيرة. ويعطى الرائى عشر حجج لاثبات ذلك لتجاوز الكثرة إلى الوحدة، والكم إلى كيف. فهى جوهر والجوهر لا يتناثر. وهى المتعالية فى مقابل السفل، و"الأصل فى مقابل الفروع"، والوحدة وراء التنوع،

---

(١) السابق ص ٣٧٧-٣٧٨.

(٢) مقالات ص ١٤١-١٤٣.

(٣) السابق ص ١٤٤-١٤٧.

والوجود وراء العدم، والثبات فى مقابل التحول، والهوية فى مقابل الاختلاف، والتواصل فى مقابل الانقطاع، والبقاء فى مواجهة الفناء، والروح القائم فى مقابل البدن المتغذى[1]. فالسؤال من مادى والجواب من مثالى. ولا توجد عبارات إيمانية، بسملة أو حمدلة، لا فى البداية ولا فى النهاية[2].

جـ- وفى مقالة "**فى الكل والأجزاء**" له أيضا يغيب الواقد والموروث كلية[3]. وهو موضوع بين المنطق والميتافيزيقيا ولكنه إلى الميتافيزيقا أقرب نظرا لتداخل مقولات ميتافيزيقية أخرى كالهيولى والصورة وغياب موضوع القضايا والقياس. وتكشف أفعال القول وصيغة ضمير المتكلم المفرد أن يحيى بن عدى هو الذى يتكلم ويحلل ويصف. فهو الدارس وليس الناقل. ويبدو البعد اللغوى فى القضية عن طريق تحليل الكل والجزء كاسمين مشتقين. والاشكل معروف فى تاريخ الفكر البشرى، هل يرد الكل إلى اجزائه أم أنه مستقل عنها؟[4] . والمنهج المتبع هو القسمة المتداخلة، قسمة الشىء إلى قسمين ثم كل قسم إلى قسمين وهو ما يعادل التحليل. والبرهان داخل الموضوع وليس خارجه، والدليل ذاتى وليس عرضيا. وبطبيعة الحال ينضم يحيى بن عدى إلى رأى العقليين المثاليين الذين يقولون بعدم رد الكل إلى الاجزاء ربما لتصور لا شعورى لصلة النفس بالبدن أو الله بالعالم. إذ يشار إلى الله فى البداية والى النفس فى النهاية. ويبدأ المقال بالبسملة وينتهى بالحمدلة فى أقل قدر ممكن من العبارات الايمانية.

د- ولما كانت الفلسفة تطويرا لعلم الكلام فان بعض الموضوعات الكلامية مازالت مطروقة فى الفلسفة مثل الاستطاعة عند الكندى والكسب عند يحيى بن عدى. ففى رسالة "**فى نقض الحجج التى أنفذها اليه فى نصرة قول القائلين أن الأفعال خلق لله واكتساب للعباد**" ليحيى بن عدى، الموجهة إلى أبى عمر السعدى بن سعيد الزينى ينقض يحيى باسم الفلسفة نظرية الكسب الأشعرى التى سادت بعد أن خرج الاشعرى عن خلق الافعال عند المعتزلة. وكعادة الفلسفة لا يعتمد يحيى على أى من الحجج النقلية كما هو الحال فى علم الكلام بل يعتمد على الحجج العقلية وحدها. وكما كانت المشكلة من الموروث الكلامى فلم

---

(١) السابق ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٢) كانت هذه الرؤية فى صبيحة يوم السبت ١٤ جمادى الآخرة سنة ٣٥١.

(٣) مقالات ص ٢١٢-٢١٩.

(٤) وهو البحث الثالث من بحوث منطقية لهوسرل والخلاف بين العقليين الذين يقولون باستقلال الكل عن الأجزاء والحسيين الذين يقولون برد الكل إلى أجزائه.

يظهر الوافد على الاطلاق. ويستعمل يحيى طريق منطق الخلف، إثبات استحالة الكسب لأنه نسبة أفعال العباد إلى الله. واستحالة الجبر لنفس السبب فلم يبق إلا خلق الأفعال للعباد. ويصل يحيى لذلك عن طريق القسمة العقلية والانتهاء مسبقا إلى ثلاث نظريات. يعرض أولا حجة الخصم ثم يرد عليها ولا يذكر أى اسم من أسماء المتكلمين أشاعرة أو معتزلة مع تقابل "يقول ... أقول". ويستعمل منهج تحليل الالفاظ مثل الفعل والخلق والاكتساب والعين. ويظهر منطق الاستدلال، والانتقال من المقدمات إلى النتائج، وإحالة اللاحق إلى السابق. والبداية بالبسملة والنهاية بالحمدلة مع الدعوة بالتوفيق وإعطاء الله صفات الحكمة مثل ذو الجود والحكمة والمولى ولى العدل واهب العقل[1].

هـ- وفى "**تهذيب الأخلاق**" واضح أن يحيى بن عدى (٣٦٤هـ) قد ألف فى كل الأشكال الأدبية منذ تمثل الوافد حتى الابداع الخالص، وأن له فضلا كبيرا منذ الترجمة والتلخيص والشرح. فكتابه "**تهذيب الأخلاق**" نموذج الابداع الخالص. لا يحال فيه إلى وافد أو موروث، يونانى أو نصرانى، اسم علم أو نص[2]. وهو نفس عنوان كتاب مسكويه الشهير بعدما يقرب من نصف قرن.

ويتضمن الكتاب مقدمة وخاتمة وثمانية أقسام[3]. وفى المقدمة تظهر النزعة الانسانية منذ البداية وارتباط الأخلاق بالانسان. والانسان هو قدرته على التمييز والرغبة فى الكمال. ثم يتم تحديد الأخلاق ابتداء من تحليل قوى النفس إلى ثلاث : الشهوية والغضبية والعاقلة. وهى قسمة أفلاطون بعد أن قبلها العقل الخالص ولم تعد من الوافد. فالأخلاق فطرية مغروزة فى النفس، فضائل أو رذائل.

فعلة اختلاف الأخلاق هو تعدد قوى النفس. النفس الشهوانية مشتركة بين الانسان والحيوان وقوامها اللذة. والنفس الغضبية أيضا مشتركة بين الانسان والحيوان وقوامها الشجاعة والقوة. والنفس الناطقة خاصة بالانسان وحده وقوامها التمييز وإدراك قائمة بالأخلاق الحسنة، وأخرى بالرديئة، وهى الفضائل والرذائل المعروفة عند الأخلاقيين فى كل حضارة كماهيات عقلية مستقلة عن ممارساتها العملية وبيئاتها الاجتماعية وأطرها الحضارية[4]. إنما الخلاف الوحيد فى الرئاسة إذ تتميز هذه الفضائل والرذائل بين الرئيس

---

(١) مقالات ص ٣٠٣-٣١٣.

(٢) يحيى بن عدى: تهذيب الأخلاق، دراسة ونص بقلم جاد حاتم، دار المشرق، بيروت.

(٣) الأقسام من وضع الناشر.

(٤) الأخلاق الحسنة مثل: العفة، القناعة، التصون، الحلم، الوقار، الحياء، الود، الرحمة، الوفاء، أداء=

والمرؤوس. والرئاسة قديما هى الطبقة حديثا. فالقناعة للمرؤوس وليست للرئيس، للصغير وليست للكبير. وقد تختلف الفضائل طبقا للرئاسة فى الوجوب والندب. فالسخاء عند المرؤوس مندوب وعند الرئيس واجب. وقد يكون للملوك فضائل أخص بهم مثل عظم الهمة. والرذائل قد تكون للصغار وليست للرؤساء مثل الشره الذى يعين الملوك على أداء الأعباء. وقد يكون بعضها أقبح عند الملوك مثل السفه والبخل والجبن، والأهم هو تقرير نسبية الأخلاق بالاضافة الى الرئاسة. فالاخلاق قد تكون فى بعض الناس فضيلة وفى بعضهم رذيلة مثل حب الكرامة، فضيلة عند الأحداث وأقل من ذلك عند الكبار، والاكرام والتبجيل، وحب الزينة، والمجازاة على المدح، والزهد[1].

وبعد رصد قوائم الفضائل والرذائل على المستوى النظرى يتم الانتقال إلى الوسائل العملية لتحقيق الأولى وتجنب الثانية وهو ما يسمى "تهذيب الأخلاق". فالأخلاق علم نظرى وعلم عملى. لا تجتمع الفضائل فى إنسان واحد ولكن قد تجتمع الرذائل فيه والتفاضل بين الناس فى الفضائل وليس فى الرذائل، فى الايجاب وليس فى السلب. وليس الأقل جبنا أفضل من الأكثر جبنا. والانسان قادر على ان يهذب نفسه بنفسه وهو معنى الرياسة أن يسوس الانسان نفسه بنفسه عن طريق التهذيب الذاتى. فالاكتساب ليس للأموال فحسب. وهو طريق الارتياض والتعود على الفضائل عن طريق تذليل النفس الشهوانية والغضبية وتهذيب النفس الناطقة والتدرج فى ذلك، وطريق قمع النفس الشهوانية هو تذكر ان اللذة رذيلة فى ذروة الحصول عليها والاكثار من مجالسة الزهاد والنساك والرهبان وأهل الورع والواعظين والرؤساء وأهل العلم، وإدامة النظر فى كتب الأخلاق والسياسة، وتجنب السكر. ويحيى بن عدى نصرانى ليس السكر بحرام فى شريعته ولكنه يعبر عن الموقف الحضارى العام له. فتحريم الخمر، وهو حكم الاسلام، أقرب إلى الفضيلة من إباحته. كما يمكن الاقلال من السماع خاصة من النساء، الشابات والمتصنعات المثيرات للشهوات وهو ما يشار اليه فى عصرنا بالأغانى الخليعة، والاقلال من الشبع، والتيقظ الدائم الى العفة[2].

= الأمانة، كتمان السر، التواضع، البشر، صدق اللهجة، سلامة النية، السخاء، الشجاعة، المناقسة، الصبر عند الشدائد، عظم الهمة، العدل. والأخلاق الرديئة مثل: الفجور، الغدر، التبذل، السفه، الخرق، القحة، العشق، القساوة، الغدر، الخيانة، إفشاء السر، النميمة، الكبر، العبوس، الكذب، الخبث، الحقد، البخل، الجبن، الحسد، الجزع عند الشدة، صغر الهمة، الجور.

(١) السابق ص ٦٤-٦٦.

(٢) السابق ص ٦٦-٧٢.

والطريق إلى السيطرة على النفس الغضبية هو تدبر أحوال الذين يسايرونها وسفههم كما يفعل الخدم والعبيد. فالأحرار أكثر قدره على السيطرة على النفس الغضبية من العبيد. فمعايير الاختلاف فى الأخلاق مازالت إما الرئاسة أو العبودية بالاضافة إلى تخيل الانسان نفسه أنه هو المجنى عليه من الغضب. وعلى الغاضب تجنب حمل السلاح، وأماكن الفتن، ومواضع الحروب، ومجالسة الأشرار، ومعاشرة السفهاء، وتجنب السكر، واستعمال الفكر وسيطرة النفس الناطقة وتقويتها بالعلوم العقلية،والنظر فى كتب الأخلاق والسياسات، والارتياض بعلوم الحقائق، ومجالسة أهل العلم، وإلا فمجاهدة النفس والتخلص من الحسد والحقد والخبث[1].

فاذا ما تم الارتضياض وتحقق الانسان بالأخلاق، تصفية النفس من الرذائل وتحليتها بالفضائل ظهر الانسان التام أى الانسان الكامل بتعبير الصوفية. وهو الانسان الذى لم تفته فضيلة ولم تشنعه رذيلة فكان أشبه بالملائكة منه بالناس. ويحتفظ هذا الكمال بالنظر فى العلوم الحقيقية، محاطا بأهل العلم، معتدلا فى سلوكه، وتجاوز الشهوة والغضب، ومواساة الاخوان متعودا على محبة الناس، وأن يكون برا فاضلا حليما وقورا خاصة إذا كان من الرؤساء محبا للكمال[2]. فاذا ما وصل اليه كان أحق الناس بالرياسة. ولا يمكن ستر العيوب ولا يجب تتبعها حتى يظل الانسان جميل الذكر مخلدا.

يقوم "تهذيب الأخلاق" على العقل الخالص وهو مناط الابداع، والاستدلال والاتساق الداخلى والحسن والقبح العقليين. كما يقوم فى نفس الوقت على التجربة الانسانية والطبيعة والفطرة والخلق الخير. هذه المثاليات الأخلاقية تحويل دلالى للالهيات الغائبة تماما. إذ يمكن إقامة أخلاق مستقلة عن الدين، بلا إلزام ولا جزاء، ولا عقائد ولا شعائر، أخلاق إنسانية عامة لا تمايز فيها بين الأديان. تظهر فيها روح الفارابى. فقد كان يحيى بن عدى تلميذه خاصة فى الرئاسة الفاضلة وكامل الأوصاف. قد يغلب عليه التكرار، ووضع ما يجب أن يكون دون وصف ما هو كائن. ويكون التحدى هو: ومن الذى سيربط الجرس فى رقبة القط؟

٤- **أبو الحسن العامرى.** وفى "**الفصول فى المعالم الالهية**" للعامرى (٣٨١هـ) يغيب الواقد والموروث على حد سواء باستثناء اللفظ المعرب "الأسطقسات". وتضم عشرين فصلا متداخلة حول المعانى الذاتية فى جواهر الموجودات وتكون أسبق منها

---

(١) السابق ص ٧٢-٧٦.

(٢) السابق ص ٧٦-٨٧.

كسبق الماهية على الوجود[1]. ومراتب الأشياء فى حقيقة الوجود خمس: الأول موجود بالذات فوق الدهر وقبله، والثانى موجود بالابداع مع الدهر وقرينه، والثالث موجود بالخلق بعد الدهر وقبل الزمان، والرابع موجود بالتسخير مع الزمان وقرينه ويعنى التسخير الطبع، والخامس موجود بالتوليد بعد الزمان وتلوه. ويعنى التوليد التكوين. الأول هو البارى والثانى التعلم والأمر. والثالث العرش واللوح. والرابع الأفلاك الدائرة والأجرام الأولية. والخامس الاسطقسات الأربعة. وبلغة الفلاسفة يسمى القلم العقل الكلى، والأمر الصور الكلية، واللوح النفس الكلية، والعرش الفلك المستقيم وفلك الافلاك. وهنا يبدو تكوين الخطاب الابداعى الخالص من خلال التشكل الكاذب، التعبير عن مضمون الموروث بلغة الوافد فى خطاب عقلى تجريدى، قادر على الجمع بين الخطابين فى خطاب عقلى واحد يقوم على الاستدلال والاتساق المنطقى، والانتقال من المقدمات إلى النتائج، مع استعمال أفعال مثل "فقد ظهر". وللعامرى موقف خاص وليس مجرد عارض تصور موجود، يختلف ويتفق معه. لذلك يقول أحيانا "أما أنا فارى أن". وهى نوع من المثاليات العقلية تضع الوجود على مراتب، وتجعل للأعلى القوة والسيطرة على الأدنى كما هو معروف فى نظرية الفيض معرفيا ووجودياً وأخلاقيا، دون أن تكون بالضرورة "أفلاطونية محدثة"، فالداخل لا يحال إلى الخارج، والابداع لا يرجع إلى النقل. هو التوحيد الاشراقى الذى يجمع بين العقل والذوق، بين المعرفة والوجود.

والموجود بالذات هو البارى تعالى هو المحيط بالموجودات كلها. يفيض على العقل الكلى أى القلم الصور العقلية أى الأمر. وتوجد هذه الصور فى جوهر النفس أى اللوح بحسب التجزىء والتكثر دون أن تفسد. فهى متناهية من جهة ولا متناهية من جهة. هو مبدع العقل، وخالق النفس، ومسخر الطبيعة، ومولد الأكوان. ليس كالعقل أو النفس أو الطبيعة أو الجسم أو العرض أو الصورة العقلية أو الأكوان الطبيعية أو المدركات الوهمية. وليس مادة أو صورة أو قوة أو نهاية. ليس له نظر ولا شبيه أو شكل أو مثل، حق محض، وإنى محض، وخير، وتمام محض. وهو محدث العالم، مدبر الأشياء كلها. وهو الغنى الأكبر لمن له الخلق والأمر، فوق التمام ولا يوصف بالنقص. يفيض بالخير، والمدبر للكل. هو الموجد للكل، معطى الحياة.

والتراكيب القويمة من الناس معتقدة كلها بانية الصانع بالرغم من اختلافات العقائد بين الوجود الدهرى والزمانى والوجود الروحانى والجسمانى والوجود الوحدانى والمتكثر.

---

(١) رسائل أبو الحسن العامرى وشذراته الفلسفية ص ٣٦٣-٣٧٩.

والجواهر على الحقيقة هى الصور وليس المواد. وهي المؤدية للأفعال على الحقيقة. وهى إما إلهية أو صناعية أو طبيعية. وكل جوهر قائم بذات الموجد فان حصوله يكون من النقض إلى الكمال ولو لم يكن العقل الانسى جوهر لما كان قابلا للعلم والحكمة أو مغارقة المادة.

والموجود بالابداع هو القلم، وهو العقل الكلى وهو جوهر لا يتجزأ. ليس بجسم ولا عظم ولا زمان ولا تجزىء. إنما يتعرض للانفصال. يتصور الأشياء الحسية لا كما تدركها الحواس، بنوع جوهر نفسه. ويتصور الأعراض الجسمانية لا بعللها بل بالقوة الإلهية فيه وبفضيلتها. وبكماله يستفيد الفرقان من أعلى المتمم له، الأحد الحق. يعلمه لأنه سبب وجوده وكماله. ويحيط بالاكوان الطبيعية وبذات الطبيعة وبالمستولى على الطبيعة أى النفس بجوهريته لا بقوة قائمة به. هو جوهر مدبر للنفس وهى مستجيبة له. جوهره أن يكون مملوءا بالصور العقلية التى هى أكمل فى العقول الأولى عنها فى العقول الثوانى. منها عقل إلهى وهى عقول صفوة البشر أرباب الشرائع والأنبياء، ومنها عقل فحسب يقبل الصور بواسطة العقول الأولى مثل عقول الأئمة الراشدين. كل عقل يعقل ذاته بالفعل فيصبح عقلا وعاقلا ومعقولا.

والموجود بالخلق هو العرش واللوح. وهى النفس الكلية التى تتسم بثلاث خواص: إلهية لتدبيرها الطبيعة، وعقلية لأنها تعلم الأشياء بحقائقها، وذاتية لأنها تعطى الأجسام صورة ونسيما أى حياة علي الكمال. منها نفوس عقلية لأنها متعلقة بالعقل، ومنها نفوس فقط لا تتجاوز الحس. والقلم واللوح يوصفان بالوحدانية من أعلى وحملة العرش بالكثرة من أسفل وهم ثمانية. وجوهر النفس ثلاثى، اثنان للعقل والثالث كمال أول لجسم طبيعى إلى ذى حياة بالقوة، وهو تعريف واقد تحول إلى تصور عقلى خالص. والنفس ذات وجود وعقل وحياة. والنفس من جهة تكوينها واقعة تحت الزمان، ومن جهة تكاملها بالعقل واقعة تحت الدهر.

والموجود بالتسخير الأفلاك الدائرة والأجرام الأولية. وهو أقل المستويات الأربعة تحليلا وعرضا لأنه خارج الواحد والعقل والنفس والطبيعة. الأجرام العلوية جواهر وديمومتها فى الزمان، تسخيرية، وكمالها فى الصور الموجودة، بثرواتها فى حيز الدهر، وبأفعالها فى حيز الزمان. أما الجواهر السفلية التى لا ديمومة لها فى الزمان وهى التوليدية تتعلق مدتها بالأجرام العالية. فالدوام نوعان: دهرى وزمانى. الأول ثابت، والثانى زائل.

والموجود بالتوليد جميع ما يتكون من الأسطقسات الأربعة. ومن الطبيعة ما هى نفسانية لأنها تخضع لتدبير الأنفس ومنها ما هى طبيعية فقط. إذا اجتمعت قواها أدت أفعالا عظيمة، وإذا تفرقت انحلت وضعفت. والطبيعة رباعية. والقوى الطبيعية فى الجوهر الأنسى كالأساس للحيوانية، وهى المغذية والمنمية والمولدة للمثل. وتشمل الحيوانية الحساسة والمتخيلة والمتكلفة للرياضة. وهى اضطرارية فى الانسان أو شبيهة بالاضطرارية. وتتكامل بالطبع فى الحيوان. والتعبيرات الشائعة "كبير النفس" صغير النفس تعبر عن حقيقة النفس وعامة عند كل الأمم والشعوب، وكذلك "ذكى النفس" "بليد النفس" "شره النفس"، "عفيف النفس".

وتتخلل الفقرات العبارات الايمانية مثل: والله أعلم، والله الموفق للصواب. كما تظهر الصفات الالهية بالاشارة إلى الواحد الحق مثل "جل جلاله"، "عز اسمه" وتنتهى المقالة بحمد الله ومنه وجميل صنعه والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطاهرين وصحبه الأكرمين والسلام إلى يوم الدين.

٥- ابن سينا. ولما كان كل فيلسوف يمثل مرحلة الانتقال من النقل إلى الابداع، فالنقل لديه ليس الترجمة أو التعليق بل الشرح أو التلخيص أو العرض أو التأليف وبالتالى لزم فى كل فيلسوف الآتى:

أ- نسبة الشرح والتلخيص إلى نسبة التأليف لمعرفة المحور الغالب عليه وعلى الحضارة ككل انتقالا من مرحلة النقل إلى مرحلة الابداع.

ب- فى مرحلة الشرح والتلخيص معرفة نسبة المنطق إلى الطبيعيات إلى الالهيات ووضع الآثار العلوية بين الطبيعيات والالهيات، والنبات والحيوان مع الطبيعيات والنفس مع الالهيات لمعرفة المحور الغالب عليه، فكر منطقى أو علمى أو ميتافيزيقى.

جـ- ما هى موضوعات التأليف هل هى مرتبطة بمرحلة النقل مثل العرض والتأليف فى الوافد أم بمرحلة الابداع والتأليف فى الموروث أو التأليف المستقل الذى يجمع بين الوافد والموروث أو التأليف الخالص الذى يكون أقرب إلى رؤية الموضوعات ذاتها دون نصوص أى التنظير المباشر للواقع.

د- نسبة نصوص الفيلسوف الضائعة بالنسبة للموجود منها، ونسبة المخطوط للمطبوع لمعرفة إلى أى حدي يمكن تعميم الأحكام على الفيلسوف.

والتأليف مرحلة طبيعية بعد الترجمة والشرح والتلخيص، الشيء وتمدده وتقلصه حتى يقضى على الشيء ويتم تفتيته كلية وتبخيره والقضاء عليه. بعد ملأ الشعور بالنقل يتم العطاء بالتأليف والتحول من الشعور القابل إلى الشعور المعطى. الترجمة مرحلة محدودة للوعى الفردى والوعى الحضارى تنتهى تلقائيا بعد التعليق والشرح والتلخيص. والاستمرار فى النقل إجهاد وموت فى حين أن الانتقال من النقل إلى الابداع استمرار وحياة. قراءة الترجمة أصعب على النفس وأشق على الذهن من قراءة التأليف. ولولا التعليق لكانت قراءة الترجمة غير دالة إلا من حيث إعادة التجربة الحضارية الأولى، الاحتواء والتمثل والاكتمال، الترجمة وسيلة وليست غاية، مقدمة وليست نهاية، طريق وليست هدفا، بدن وليس روحا.

كان من الطبيعى إلا يكون الكندى (٢٥٢هـ) شارحا لأنه سابق على العصر الذهبى للترجمة وهو القرن الثالث. وهذا يدل على أن التأليف ليس بالضرورة مرتبطا بالترجمة والتعليق والشرح والتلخيص والعرض والتأليف فى الوافد وهى المراحل السابقة على الابداع. فإبداع الكندى مستقل عن النقل مثل ابداع الشافعى علم الأصول فى الرسالة. كان محاولة للتنظير المباشر للواقع قبل الشروح. كان الواقع علميا فى مجتمع علمى[١]. لقد اشتغل الكندى بالترجمة والشروح بعض الوقت ولكن إبداعه مستقل عما اشتغل به وكانت مدرسته معتنية بالترجمة والشرح ولكن الغالب عليها كان الفكر العلمى مثل اتجاه الكندى نحو العلوم والصناعات أكثر من اتجاهه نحو الفلسفات لقد تحول الفكر الاسلامى من الفكر العلمى الأول عند الكندى والرازى إلى الفكر الفلسفى بعد ازدهار عصر الترجمة فى القرن الثالث[٢].

أما الفارابى (٣٣٩هـ) فكان هو نموذج العارض الذى تجاوز الشرح والتلخيص الذى قام به المترجمون من خلال التعليقات. قدم معانى النصوص بسهولة ويسر حتى يسهل التعامل معها بعد ذلك عمليا داخل الحضارة. ومن هنا أتى لقب" المعلم الثانى" وهو ليس بأقل فضلا من الأول أو تلميذا له بل لأنه علم المسلمين الفلسفة كمعان وموضوعات مستقلة. وكثيرا ما يكون المعلم الثانى أفضل من المعلم الأول لأنه هو الذى يعطيه معناه

---

(١) قال الحسن بن سوار وجدت فى نسخة الفاضل يحيى وبخطه فى هذا الموضع ما هذه حكايته: أتممت قراءة هذه الثلاثة الاشكال يوم السبت لأربع ليال بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وثلثمائة (٣١٧هـ)، منطق جـ١، العبارة ص ١٣٢(١).

(٢) أحد تلامذة الكندى وهو أحمد بن الطيب السرخسى لم يذكر من الذى نقل كتب الخطابة، الخطابة ص ز.

ويبرزه للناس. وبهذا المعنى يكون سقراط هو المعلم الأول وأفلاطون المعلم الثانى. ولولا أفلاطون لما كان سقراط.

الفارابى يعد بحق المعلم الثانى بالنسبة لليونان ولكنه المعلم الأول بالنسبة للمسلمين. لذلك فهم بان سينا من شروح الفارابى وتلخيصاته أكثر مما فهم من الترجمات الأصلية[1]. لم يحتج الفارابى إلى الشرح والتلخيص لأنه عاش فى العصر الذهبى للترجمة فى القرن الثالث بعد أن كانت قد استقرت وتم فهمها من خلال التعليقات. إنما كانت فى حاجة إلى إعادة العرض.

أما ابن سينا (٤٢٨هـ) فلم يكن شارحا ولا ملخصا ولا عارضا ولا مؤلفا فى الوافد بل كان مؤلفا، بل المؤلف بمعنى الكلمة Per excellence الذى اعتمد على شروح الفارابى وتلخيصاته وعروضه. فقد مهد له الفارابى الطريق، وقدم له المعنى، وسهل له الأداء، وأعطاه الوسيلة. فلولا الفارابى لما كان ابن سينا. ابن سينا هو الجامع الذى صمت عن مصادره، وحاول بناء الفلسفة دون تمييز بين وافد وموروث. هو الذى بنى الحكمة واكملها، وتجلت فى أسفاره ظاهرة "التشكل الكاذب" فى أوضح صورها.

ثم أتى ابن رشد (٥٩٥ هـ) آخر الحكماء ليعود من البداية، للنصوص الأولى وتصحيح شروحها وتلخيصاتها حتى يعيد الي النص معناه واتجاهه بعد أن ساء استخدامه لدى الفلاسفة الاشراقيين خاصة ابن سينا. ومن ثم جعل مهمته الرئيسية الشرح والتلخيص وليس التأليف حرصا على النصوص الأولى، وانقاذا لها من سوء التأويل حتى سماه اللاتين الشارح الأعظم لأنه أعاد تقديم أرسطو كما هو عليه دون تأويل حضارى أو قراءة محلية، أرسطو التاريخى، العقلانى العالم.

أ- **الابداع الكلى.** بالرغم من أن ابن سينا هو فيلسوف العرض الكلى بلا منازع فى موسوعاته الثلاث إلا أن مؤلفاته منتشرة على عديد من الأشكال الأدبية فى التأليف مثل تمثل الوافد، وتمثل الوافد قبل تنظير الموروث، وتمثل الوافد مع تنظير الموروث، وفى التراكم فى تنظير الموروث قبل تمثل الوافد، وفى تنظير الموروث حتى الابداع الخالص.

ويظهر الوافد والموروث فى العرض النسقى لابن سينا فى الموسوعات الثلاث وحدها التى لا تتجاوز ثلث مؤلفات ابن سينا التى يظهر فيها تزاوج الوافد والموروث،

---

(١) ذكر ان الفارابى فسر كتاب "الخطابة" فى عشرين مجلداً، الخطابة ص ح. فهل عرف الفارابى كتاب الخطابة مباشرة من اليونانية كما تدل على ذلك بعض الروايات انه كان يعرف اليونانية؟ الخطابة ص ط.

وهى بدورها لا تتجاوز خمس مجموع مؤلفات ابن سينا التى يظهر فيها تمثل الوافد وحده أو تنظير الموروث وحده أو الابداع الخالص الذى لا يحيل إلى وافد أو موروث[١]. فهناك تحول طبيعى من تمثل الوافد يتساوى مع المزج العضوى بين الوافد والموروث ثم يزيد تنظير الموروث ثم يزيد الابداع الخالص[٢]. كما تقل المؤلفات المعتمدة على الوافد وتزيد المؤلفات المعتمدة على الموروث مما يدل على التحول من الخارج إلى الداخل[٣].

وبالرغم من تغطية الموسوعات الثلاث لأقسام الحكمة، المنطقية والطبيعية والالهية وضم الرياضية إلى المنطقية إلا أن هذه الحكمة قد تم التأليف فيها ليس بطريق العرض النسقى المنطقى المجرد المذهبى ولكن بطريقة التأليف حيث يتم تمثل الوافد أو تزاوج الوافد والموروث أو تنظير الموروث أو الابداع الخالص. وبالتالى تكون هذه الاعمال أدخل فى التأليف منها فى العرض. وتختلف هذه الأقسام فيما بينها من حيث الكم. المنطق والرياضيات أصغرها ثم الطبيعيات أوسطها ثم الالهيات اكبرها[٤].

ويمكن تقسيم مؤلفات ابن سينا المنسوبة له طبقا لأقسام الحكمة إلى الآتى:

١- المنطق. ويضم أحد عشر مؤلفا البعض منها أقرب إلى العرض الجزئى والعرض الكلى[٥]، والبعض الآخر بين الموجز والمختصر الصغير والمتوسط والكبير

(١)

	الوافد	الوافد والموروث	الموروث	الابداع الخالص
١-	قيام الأرض وسط السماء	سر القدر	النيروزية	القوى الانسانية
٢-	أجوبة البيرونى	السعادة والحجج	الصمدية	الطبيعيات عيون الحكمة
٣-	الجوهر النفيس	العشرة	المعوذتين	الأخلاق
٤-	الأجرام العلوية	النيوات	الفعل	الموسيقى
٥-	الحدود	الشفاء	والانفعال	المبدأ والمعاد
٦-	أقسام العلوم العقلية	النجاة	العرشية	السياسة
٧-	الموت	الاشارات والتنبيهات	الذكر	أسباب الرعد
٨-	أحوال النفس	الأضحوية	العشق	العهد
٩-	رسالة فى التقويم	القوى النفسانية	الصلاة	حى بن يقظان
١٠-		القانون	القدر	الطير
١١-			النفس الناطقة	الزيارة
١٢-				النفس الناطقة

(٢) الوافد (٨)، الوافد والموروث (٨)، الموروث(١٠)، الابداع الخالص(١٢).

(٣) المؤلفات المعتمدة على الوافد(١٦)، المؤلفات المعتمدة على الموروث (١٨).

(٤) المنطق (١١)= ٩،٧% الرياضيات (١١) = ٩،٧% الطبيعيات (٢٤)= ٢١،٢% الطب (١٢)=١٠،٦% الالهيات (٥٥)= ٤٨،٧%.

(٥) مثل تعقب المواضع الجدلية، غرض قاطغورياس.

مثل شروح ابن رشد الثلاثة: التفسير والتلخيص والجامع، وتمثل أكثر من ثلث الأعمال المنطقية[١]. وبالاضافة إلى المختصرات هناك أيضا العروض مثل "الاشارة" و "الفاتح"[٢]. ويكتب المنطق بالشعر فى بيئة ثقافية الشعر فيما يمثل الثقافة الشعبية حتى يسهل فهم المنطق بأداة بيئية، فهم الوافد بأدوات الموروث[٣]. (عملان على الاقل). وبالرغم من أن المنطق يعطى القوانين العامة إلا أن علوم الناس فيه فردية فالعلم للتطبيق والمنطق للاستعمال[٤].

٢- الرياضى. ويضم أيضا أحد عشر مؤلفا بين اختصار الوافد مثل تلخيص ابن رشد أو العرض الجزئى أو العرض الكلى[٥]. الاختصار لفظ شائع فى العلم قد يعنى الحالة الراهنة له [٦]. والباقى دراسة للموضوعات أى أقرب إلى التأليف فى الموضوعات[٧]. مثل دراسة الزاوية والجهة والحدود واللانهاية والصلة بينها وبين النهاية، وارتباط الرياضيات بالجسم.

٣- الطبيعيات. وتضم أربعة وعشرين محلا تدور حول الفلك كعلم طبيعى يقوم على الرصد بالآلات[٨]. كما تضم موضوعات الجغرافيا الطبيعية مثل الأجرام السماوية وقيام الأرض وسط السماء وخواص خط الاستواء [٩]. والجغرافيا السياسية مثل الممالك وبقاع الأرض. وقد يتكرر الموضوع فى أكثر من عمل. وبطبيعة الحال يتم إبطال علم أحكام النجوم الذى يقوم على الخرافة والتنجيم[١٠]. ويدخل علم الكيمياء مع العلوم الطبيعية [١١]. كما تدخل الموسيقى مع أنها من العلوم الرياضية أو لأنها تجمع بين الطبيعيات والرياضة كما هو الحال فى الطبيعيات المعاصرة، دراسة الذبذبات (الطنين)

---

(١) مثل: الموجز، الموجز الصغير (أول النجاة)، المختصر المتوسط، الموجز الكبير.

(٢) مثل الاشارة إلى علم المنطق (مقالة)، مفاتيح الخزائن.

(٣) مثل القصيدة المزدوجة، المنطق بالشعر.

(٤) مثل رسالة أن علم زيد غير علم عمرو.

(٥) العرض الجزئى مثل مختصر أوقليدس، العرض الكلى مثل الارتماطيقى (الحساب).

(٦) مثل مختصر أن الزاوية التى من المحيط والمماس لا كمية لها.

(٧) مثل الزاوية، بيان ذوات الجهة، عكوس ذوات الجهة (مقالة)، الحدود، حد الجسم (مقالة)، اللانهاية (مقالة)، النهاية واللانهاية، رسالة فى أن أبعاد الجسم غير ذاتية.

(٨) مثل: الارصاد الكلية، الالة الرصدية، كيفية الرصد ومطابقته للعلم الطبيعى(مقالة)، مقالة فى آلة رصدية. (٤).

(٩) مثل: الأجرام السماوية، قيام الارض وسط السماء، الممالك وبقاع الارض(مقالة)، هيئة الارض من السماء وكونها فى الوسط (مقالة) خواص خط الاستواء (٥).

(١٠) إبطال أحكام النجوم (مقالة) (١).

(١١) الكيمياء (١).

رياضيا كما فعل الفارابى[١]. وتمثل هذه الأعمال نصف الطبيعيات. ثم يستغرق موضوع النفس النصف الآخر باعتبارها موضوعا طبيعيا مع تحليل قواها الطبيعية والنفسية وانفعالاتها مثل الحزن والعشق ورؤياها وخلودها مع بعض الأقاويل الرمزية[٢]. وقد تتبقى بعض الأنواع الادبية السابقة مثل الشرح[٣]. كما قد يظهر التراكم الفلسفى اللاحق من خلال حوار الموروث مع نفسه مثل حوار ابن سينا مع النيسابورى حول النفس[٤].

وكما أن الرياضى ملحق بالمنطقى كذلك الطب ملحق بالطبيعيات. ويضم الطب اثنا عشر عملا تتراوح بين القوانين الكلية لعلم الطب ومسائله النظرية ووظائف الأعضاء وبين تشخيص الأمراض وطرق العلاج وأصناف الأدوية ومهنة الطبيب ورسالته وتواضعه[٥]. ويظهر التراكم الفلسفى عندما يشرح الحكيم نفسه أو عندما يعلق على السابقين[٦].

٤- الالهيات. وتضم أربعة وخمسين عملا. تضم بعض الموضوعات الطبيعية نظرا لارتباط الطبيعيات بالالهيات ان لم يكونا علما واحدا. مرة مقلوبا إلى أعلى ومرة الي أسفل[٧]. والموسوعات الثلاثة فى الالهيات بالرغم من اشتمالها على المنطق والطبيعيات[٨]. وهناك مجموعات أخرى أصغر مثل الموسوعات تعطى نظرة شاملة للالهيات بما فى ذلك موضوع أقسام العلوم[٩]. وتشمل الالهيات أساسا الموضوعات الأخلاقية[١٠]. ويرتبط التصوف بالأخلاق[١١]. كما تظهر بعض الموضوعات الكلامية مثل

---

(١) المدخل إلى صناعة الموسيقى (١).

(٢) مثل: فصول فى النفس وطبيعيات، مقالة فى النفس (الفصول)، القوى الطبيعية، القوى الانسانية وادراكاتها، الحزن وأسبابه، العشق، تأويل الرؤيا، المبدأ والمعاد، (فى النفس)، رسالة الطير، الشبكة والطير (١٠).

(٣) مثل شرح كتاب النفس لأرسطو (١).

(٤) مثل مناظرات فى النفس (مع النيسابورى)(١).

(٥) القوانين الكلية والمسائل النظرية مثل: القانون، قوانين ومعالجات طبية، مسائل عدة طبية، مختصر فى النبض (٤) والأمراض مثل: القولنج (١). والعلاج مثل: الأدوية القلبية، السكنجبين، الهندبا (٣)، مهنة الطبيب مثل: مقالة فى تعرض رسالة الطبيب، التدارك لأنواع خطأ التدبير(٢).

(٦) مثل الحواشى على القانون، تعاليق مثل حنين (فى الطب) .

(٧) مثل: الجوهر والعرض، رسالة فى أنه لا يجوز أن يكون شيء واحد جوهرا وعرضا (٢).

(٨) وهى: الشفاء، النجاة، الاشارات والتنبيهات(٣).

(٩) مثل : المجموع، الانصاف، اللواحق، الحاصل والمحصول، عيون الحكم، أقسام الحكمة، تقاسيم الحكمة، والعلوم المباحث، تعاليق(٩).

(١٠) مثل: الأخلاق، البر والاثم، تحصيل السعادة (مقالة)،(٣).

(١١) عهد عاهد الله به لنفسه، الهداية، ما يوصل إلى علم الحق(٣).

القضاء والقدر والمعاد وخلود النفس[١]. ويظهر التمايز بين الأنا والآخر فى الحكمة المشرقية[٢]. ونقل االموضوعات الالهية بالمعنى الدقيق مثل الأول والصلة بين الدين والفلسفة[٣]. وتظهر بعض الموضوعات السياسية القليلة مرتبطة ببعض الموضوعات الغيبية دون أن تصل إلى مرتبة اللاهوت السياسى[٤]. وتتباين الأنواع الأدبية فى المؤلفات مثل الشعر والخطبة والرواية[٥]. كما يكثر النوع الأدبى، والسؤال والجواب أو السؤال وحده أو التعليقات أو الرسائل مما يدل على أن الحكمة مستمدة من الواقع أيضا وليس فقط من الوافد أو الموروث.وكلها أسئلة محلية مثل النوازل الفقهية[٦]. ويتضح التراكم الفلسفى عند ابن سينا فى كثرة حواراته مع باقى حكماء الموروث بأسمائهم مع الرد على من يدعى الحكمة مثل الهمذانى. ومعظمها بالعربية، وقليل منها بالفارسية[٧]. والبعض كتبها فى السجن[٨]. ولا يوجد تأليف واحد فى الوافد. وواضح ان ابن سينا أكثر الحكماء تأليفا من حيث الكم وان كان ابن رشد أهمهم من حيث الكيف.

ويغلب علي أسماء مؤلفات ابن سينا كلها طابع الاشراق: "الشفاء"، "النجاة"، "الاشارات والتنبيهات"[٩]. ومن مظاهر الاشراق تصور الأفلاك على أنها كائنات حية ناطقة[١٠]. وفى نفس الوقت تشير كتب التاريخ إلى ولع الحكماء بالعلم وقدرتهم على

---

(١) مثل: المعاد، القضاء والقدر، الرسالة الأضحوية فى أمر المعاد، الحكمة العرشية (٤).

(٢) مثل: الحكمة المشرقية، بعض الحكمة المشرقية(٢).

(٣) مثل: فصول الهيئة فى إثبات الأول (١).

(٤) مثل: عشر قصائد وأشعار فى الزهد، القصائد فى العظمة، خطب وتمجيدات وأسجاع، الخطب التوحيدية، خطب الكلام، حى بن يقظان(٦).

(٥) مثل: تدبير الجن والمماليك والعساكر وأرزاقهم وخراج الممالك، رسائل اخوانية وسلطانية (١).

(٦) مثل جواب مسائل كثيرة، جواب لعدة مسائل جرت بينه وبين بعض الفضلاء فى فنون العلم، عشرون مسألة سأل عنها بعض أهل العصر، التذاكر، مسائل جواب يتضمن الاعتذار فيما نسب اليه من الخطب (٧).

(٧) رسالة إلى أبى سعيد بن أبى الخير الصوفى، أبو الفرج الطيب الهمذانى، أبو الحسن العامرى، أبو الريحان البيرونى (مرتان)، أبو الحسن بهمنيار، أبو عبد الله الحسين بن سهل، الرد على مقالة الشيخ أبى الفرج الطيب(٨) رسالة إلى علماء بغداد يسألهم فيها الانصاف بينه وبين رجل همدانى يدعى الحكمة (رسالة إلى صديق) (٨).

(٨) الفارسية مثل: العلائى، دانش مايز (أصل العلم)، رسائل بالفارسية والعربية ومخاطبات ومكاتبات وهزليات(٣).

(٩) مثل الهداية.

(١٠) ينسب هذا الرأى أيضا لثابت بن قرة الحرانى ورد ناصر خسرو عليه فانه أتى ببرهان على أن الافلاك والكواكب أحياء ناطقة وذلك أنه قال إن الانسان ذو حياة وتعلق من أجل أن جسده أشرف الأجساد ولأنه أشرف نفس حلت فى أشرف جسد الذى هو جسد الانسان. وهذه النفس حية ناطقة. =

الاستيعاب، وربما أنانيتهم وإخفاء مصادرهم إلى درجة حرق المكتبات. وبصرف النظر عن صحة الروايات فان دلالتها الحضارية تظل واردة[1].

ب- آليات الابداع. فى الابداع الخالص تظهر قدرة العقل على البرهان دون وافد أو موروث كمصدرين خارجيين، الفلسفة فى ذاتها[2]. بالرغم مما قد يبدو عليى بعضها من عرض أو تأليف، وبالرغم مما تدل بعض عناوينها على الوافد مثل فى الطبيعيات فى عيون الحكمة. أو على الموروث مثل "رسالة الطير" والصمدية والعرشية. ويبدو الاحساس بالابداع الفلسفى الخالص واضحا عند ابن سينا فى المنطق الذى بلغ فيه مبلغا لم يبلغه أحد من الأوائل[3]. كما يتجلى ابداع ابن سينا فى الرسائل اكثر مما يتجلى فى الموسوعات. وهذا لا يمنع من أن يكون الموروث هو الباعث والدافع.

ففى "**رسالة العشق**" لابن سينا إجابة على سؤال محلى صرف فى موضوع محلى صرف هو التصوف. ورسالة ابن سينا فى ماهية الصلاة إجابة على سؤال محلى لا شأن لها بالوافد. والدافع إصلاحى[4]. ورسالة "**معنى الزيارة**" أيضا جواب على الشيخ سعيد بن أبى الخير الصوفى عن سبب إجابة الدعاء. و"**فى القوى الانسانية وادراكاتها**" لا وافد ولا موروث، لا يونان ولا قرآن بل تحليل عقلى صرف. "**ورسالة المبدأ والمعاد**" موضوع دينى فلسفى صرف، لا يونان ولا قرآن، إلا من القرآن الحر مثل مادامت السموات والأرض إلا ما شاء الله إن ربك فعال ما يريد أو بعض الصور القرآنية مثل ثقل

= وهذه مقدمة صادقة. ثم قال إن أجساد الأفلاك والنجوم بغاية الشرف واللطافة، وفى نهاية الطهارة وهذه مقدمة ثانية صادقة. ونتيجة هاتين المقدمتين أن للأفلاك والنجوم أنفسا ناطقة وأنها أحياء ناطقة. فهذا البرهان الذى أتى به هذا الفيلسوف على أن الملائكة هم الأفلاك والكواكب، وأن هذه أحياء ناطقة، رسائل ص ١٧٨.

(١) يروى البيهقى فى تتمة صوان الحكمة ان ابن سينا عند اتصاله بالأمير نوح بن منصور سأل الاذن له فى دخول دار له فيها بيوت الكتب فنال الايجاب فطالع من جملتها فهرست كتب الأوائل وطلب ما احتاج اليه. فرأى من الكتب ما لم يقرع أسماع الناس اسمه لأبى نصر الفارابى وغيره. فقرأ تلك الكتب، وظفر بفوائدها، وعرف مرتبة كل رجل فى علمه من المتقدمين. فاتفق احتراق تلك الدار، واحترقت الكتب بأسرها. وقال بعض خصماء أبى على أنه أحرق الكتب ليضيف تلك العلوم والنفائس إلى نفسه ويقطع انساب تلك الفوائد عن أربابها والله أعلم، تاريخ حكماء الاسلام جـ١ لمحمد كرد على، عياد ص ١٩٦.

(٢) ١- فى الطبيعيات فى عيون الحكمة. ٢- فى القوى الانسانية وإدركاتها. ٣- فى العهد. ٤- فى الأخلاق. ٥- رسالة فى الكلام على النفس الناطقة. ٦- رسالة الطير. ٧- فى الفعل والانفعال. ٨- فى علة الأرض وسط السماء. ٩- الصمدية. ١٠- العرشية.

(٣) وقد بلغت فيما صنفته فى المنطق مبلغا فى ذلك لم يبلغه أحد من الأوائل، والله المستعان، قيام الارض ص ١٦٢.

(٤) فلما رأيت الخلق يتهاونون بظواهرها وما تأملوا فى بواطنها فرأيت شرحها، الصلاة ص ٤٢.

الموازين، ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. ويشار إلى القرآن كمصدر أصلى للموروث مثل لم يرد فى القرآن من هذا الأمر ولا إلى صريح مفصل. وتدخل حجة الشرع مع حجة اللغة وكلاهما موروثان محليان[١]. ويتطلب البرهان الاتساق العقلى بين المقدمات والنتائج واستبعاد التناقض والخلف والاستحالة[٢]. فالاشياء المتفق عليها مبادىء أولى تنتهى إلى فروع متفقة معها طبقا للاتساق فى النسق الاستنباطى[٣]. وتظهر وحدة الفكر والرؤية فى الإبداع الفلسفى فى إحالة العمل إلى أعمال أخرى، إحالة الفعل والانفعال إلى كتاب النفس. كما يحال الأخلاق إلى كتب إحصاء العلوم[٤]. وأحيانا يكون لكل موضوع موضعه الخاص فى نسق متكامل فلا داعى للتكرار أو التطويل[٥]. ويظهر أيضا مسار الفكر فى تذكير السابق واعلانا عن الحاضر، وتنويها بالمستقبل فى أفعال البيان فى الأزمنة الثلاثة[٦].

ويتميز الابداع الفلسفى أيضا بالرغبة فى الاختصار دون التطويل خوفا من ملل القارىء، اكتفاء بالفطرة والذكاء والقدرة على فهم الاشارات والدلالات، حتى ولو كان الموضوع أثيرا عند الحكيم الفاضل مثل موضوع الفعل والانفعال[٧].

---

(١) العشق ص ١، الصلاة ص ٢٨-٢٩، فى القوى الانسانية وإدراكاتها، تسع رسائل ص ٦٠-٧٠.

(٢) وهذا خلف، الأرض وسط السماء ص ١٥٤، وهذا المحال ص ١٥٥/١٥٧/١٥٩ وهذا خلف محال ص ١٥٥.

(٣) من البين الواضح أن الأشياء المتفقة هى التى لا توجد لها معانى تختلف فيها ويكون جميع ما للواحد منها من الأحوال موجودا للثانى. وتحقيقه أنه لا يجوز أن يكون بعضها مباينا ومغايرا فى الحقيقة لبعض. فإذا تقرر هذا فنقول، الأرض وسط السماء ص ١٥٥.

(٤) على ما عرف فى كتاب النفس، الفعل والانفعال ص ٧. يجب عليه تكميل قوته النظرية بالعلوم المحصاة المشار إلى غاية كل واحد منها فى كتب إحصاء العلوم، الأخلاق ص ١٥٢.

(٥) ولهذا الكلام تمام ذكره فى موضعه، الأخلاق ص ١٥١. فأما وجه التدبير فى تحصيل الفضائل وتجنب الرذائل فقد شرح فى موضعه طول الكلام فيه ص ١٤٥.

(٦) وقد بينا استحالة ذلك، العرشية ص ١٥، فلنذكر هذا الكلام من نمط أخر أشد تحقيقا، الصمدية ص ١٨، كما سنبين فيما بعد العرشية ص ٨، وسيأتى لذلك زيادة وشرح، ص ١٦.

(٧) ولولا مخافة ملال القارىء لهذا الفصل لأوردت من ذلك ما يطول به الكلام ويزيد الناظر بصيرة فيه إلا أن الفطرة تستدل مع اللمعة على ما وراءها من يسير الاشارة على كثيرها بهذا النمط من التأثير، لفعل والانفعال ص ٨، والكلام فى ذلك أيضا يفضى إلى ملالة القارىء وإضجاره وان كان قرة عين الفاضل الحكيم وإيثاره، ص٩. وفى تحديد أقاويل العلماء القدماء فى هذا الباب من غير تطويل الرسالة بمناقضتهم الآن مستعينين بالله نستعمل فى هذه الأبواب القول الظاهر الأبين فنتجنب الطرق المطولة، العرشية ص ١٥٣، ولا نحتاج إلى تطويل بل القول فيه فى هذا الكتاب ص ١٥٧.

وتبدو الدلالات الدينية فى المقدمات والنهايات فى رسائل الابداع الفلسفى الخالص لتذكر بالجو الثقافى العام للحضارة الإسلامية، مثل طلبة العون من الله[١].

وفى "رسالة الرئيس أبى على بن سينا فيما تقرر عنده من الحكومة فى حجج المثبتين للماضى مبدءا زمانيا وتحليلها إلى القياسات"(٤٢٨هـ) يصمت ابن سينا عن مصادره ويتحول إلى إبداع خالص[٢]. فلا يظهر واقد ولا موروث، لا بطريق مباشر ولا بطريق غير مباشر. والحكومة هنا تعنى الحكم. وتتمثل القدرة على الابداع فى تحويل حجج المثبتين للماضى بعدا زمانا إلى قياسات بصورها وموادها أو تحويل الميتافيزيقا إلى منطق، والفلسفة إلى رياضة. وتتكون من إحدى عشر فصلا، أربعة منها فى القياسات والسبعة الأخرى فى تطبيقها على موضوع المبدأ الزمانى للماضى[٣]. وربما لم يساعد ذلك على زيادة فهم الموضوع لدفع التجريد إلى المنطق من الميتافيزيقا خطوة أخرى، ومن المادة إلى الصورة. ويظل السؤال: ما الهدف؟ وهل مسار الابداع هو التحول من التجارب الحسية إلى الصورية الفارغة؟

٦- **ابن هندو. أ- الرسالة المشوقة.** هى أقرب إلى الابداع منها إلى التأليف أو العرض[٤]. فلم يذكر أرسطو إلا مرة واحدة حيث أن أرسطو احتذى هذا الترتيب التعليمى

---

(١) فالله المستعان، قيام الأرض ص ١٦٢، مستعينين بالله، العرشية ص ١٥٣.

(٢) ابن سينا: الحكومة فى حجج المثبتين للماضى مبدأ زمانيا، اهتم بنشرها د. مهدى محقق، طهران ١٣٧٧ هـ ص ١٣٣-١٥٢.

(٣) هذه الفصول هى: ١- أصناف المقدمات من جهة موادها. ٢- حال القضية التى موضوعها غير موجود وكيف يكون السلب والايجاب فيها. ٣- صور القياسات المنطقية الأولى. ٤- رد القياسات الفلسفية إلى القياسات المنطقية. ٥- المقدمة المشتركة إذا كان الماضى بلا أول تكون أشخاص الأمور الماضية الخارجة إلى الوجود ولا نهاية لها. ٦- مقدمة خروج أشخاص الأمور إلى الفعل ومالا نهاية له يظل بالقوة. ٧- مقدمة ما خرج بعضه إلى الفعل يخرج كله. ٨- مقدمة، بعض الجمل التى تعرض للاشخاص الماضية أزيد من بعض وضعف بعض وأن مالا نهاية له لا زيادة فيه ولا تصنيف. ٩- مقدمة اذا كان الماضى لا أول له فقد قطع مالا نهاية له رجال هذا القطع. ١٠- مقدمة اذا كان الماضى كذلك احتاج فى وجوده أن يتوقف لوجود ما لانهاية له وكيفية ذلك. ١١- الانتاج لقياسات جدلية مؤلفة من مقدمات يسلمها الخصوم وأنه يلزم وهو بالحجج ما أريد.

(٤) ابن هندو: الرسالة المشوقة فى د. سحبان خليفات: ابن هندو أبو الفرج على بن الحسين، سيرة وآراؤه الفلسفية جـ٢ ص ١٩٨-٢٠٤. وتتكون من سبعة فصول: فى السبب الذى حرك الأوائل لاستنباط الفلسفة، فى حد الفلسفة، فى أقسام الفلسفة، فى صناعة المنطق وحده وتسميته والغرض منه، فى شرف المنطق، فى تفصيل كتب المنطق، وذكر ايساغوجى، فى ترتيب كتب الفلسفة.

الذى عرضه ابن هندو. فأرسطو هو الشارح لابن هندو والمؤيد له، وليس ابن هندو هو الشارح لأرسطو والتابع له[1]. يعتمد على العقل الخالص وهو مشترك بين الشعوب وليس يونانيا أو أرسطيا بالضرورة. وإذا كانت كتب أرسطو هى مادة التحليل فلأنها كانت الثقافة الفلسفية للعصر.

ب- **ورسالته "فى المعاد الفلسفى"** هى أيضا أقرب إلى أولوية الموروث على الوافد. وما بينها وبين الفوز الأصغر لمسكويه من تشابه لأن كليهما يشاركان فى نفس النموذج الحضارى الجماعى الذى يساهم فيه كل الحكماء[2]. وقد تكون أقرب إلى الابداع الخالص نظرا لاعتمادها على النسق العقلى والرد على الاعتراضات السبعة بأسلوب "فان قيل". فمن الدلائل القوية إثبات اتفاق الفلسفة مع الشرع "فى أن مذهب الفلاسفة فى هذه الأشياء موافق لما جاء به أصحاب الشرائع عليهم السلام. ويقارن مع الهند فى حرق الجثث كدليل على تمايز النفس والبدن[3].

٧- **بهمنيار بن المرزبان.** واذا كان ابن سينا قد وصل إلى أعلى درجة فى التجريد والصمت عن مصادره فان تلميذه بهمنيار (٤٥٨هـ) قد استطاع التحول إلى الابداع الخالص فى بعض رسائله مثل "ما بعد الطبيعة" و"مراتب الموجودات".

أ- تضم رسالة **"ما بعد الطبيعة"** اثنى عشر فصلا: موضوع العلم، وأول الاشياء المتصورة وهو الوجود، والماهية، وصلة الماهية بالوجود، والتمييز بين الحكمة والواجب والممتنع، ومعنى المتقدم والمتأخر، والقوة والفعل، والفعل والانفعال، والنفس وقبول المعقولات. وهو خطاب مركز للغاية يستبعد "حشو الكلام غير المفيد". ويتأسس على البرهان الداخلى وينقد الوقوع فى الدور فى تحديد الممكن والواجب والممتنع[4].

ب- وللرسالة الثانية عنوانان **"مراتب الوجود"** و**"إثبات المفارقات وأحوالها"**. والعنوان الثانى شبيه بعنوان رسالة للفارابى. وتضم خمسة فصول الأول المفارقات. أربع

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٤.

(٢) فى وصف المعاد الفلسفى ص ٢٣٤-٢٥٩، ص٢٦ فيها أرسطو مرة واحدة " وقد بين العظيم أرسطاطاليس أنها ليست بعرض وجسم" (ص٢٣٨) تأكيدا لرأى ابن هندو وثلاث آيات قرآنية ومرة أمير المؤمنين (على بن أبى طالب).

(٣) السابق ص ٢٣٦/٢٥٥/٢٥٧ وهى مكتوبة بطبرستان، أطال الله بقاءه، السابق ص ٢٣٤.

(٤) بهمنيار بن المرزبان: ما بعد الطبيعة، اعتنى بنشرها وتصحيحها الأفوكاتو عبد الجيل سعد سكرتير وكيل مصلحة السكة الحديدية، مطبعة كردستان العلمية، مصر المحمية ١٣٢٩ هـ ص ٢-١١.

مراتب مختلفة الحقائق: الأول الموجود الذى لا سبب له وهو واحد، والثانى العقول الفعالة وهى كثيرة بالنوع. والثالث النفوس السمائية وهى كثيرة أيضا بالنوع. والرابع النفوس الانسانية وهى كثيرة بالأشخاص. وتتصف بأربع صفات، ليست بأجسام ولا تموت ولا تفسد، وتدرك ذواتها، ولكل منها سعادة مفارقة للمادة. والثانى البراهين على إثباتها. والثالث إثبات العقول الفعالة. والرابع إثبات النفوس السمائية، والخامس إثبات النفوس الانسانية ومفارقتها وسعادتها. وكلها براهين عقلية مجردة أشبه بالبراهين الرياضية[1].

٨- ابن باجه. وهو أول فيلسوف فى المغرب استأنف تراث الفارابى بعد هجوم الغزالى على الفلسفة والفلاسفة فى المشرق. أفسح الطريق بعده لابن طفيل وابن رشد وابن خلدون بالرغم من اشتغال مالك بن وهيب وابن حزم بالفلسفة قبله، أما مالك وهيب فقد ترك الفلسفة لما طالبوا بدمه. بل ازدهرت فى صقلية، ربما لأن تهافت الفلاسفة لم يصل ابن باجه. بل إنه لم يعرف من كتبه إلا "المنقذ من الضلال" أو حتى مقتطفات منه يذكرها فى "رسالة الوداع". ويدل على صلة المغرب بالمشرق وجود نسخة الشيخ أبى الحسن على بن عبد العزيز بن الامام فى مدينة قوص فى مصر. فلها فضلها فى حفاظ تراث المغرب، من خلال رحلة القارىء إلى الصعيد[2]. وإن رفض مقارنة ابن باجه بالفارابى (العلوى) لخصوصية عقليته هو وقوع فى أخطاء تاريخية وسياسية. فان ابن باجه إشراقى فى تدبير المتوحد ورسالة الوداع ورسائله عن اتصال العقل الفعال قدر

---

(١) بهمنيار بن المرزبان: مراتب الموجودات، السابق ص ١٣-١٩بهمنيار بن المرزبان: رسالة فى إثبات المفارقات وأحوالها، تقديم وتحقيق د. محمد على الجندى، مكتبة الزهراء، القاهرة ١٩٩٥ ص ٤٣-٥١.

(٢) "هذا مجموع ما قيد من أقاويل أبى بكر فى العلوم الفلسفية، وكان فى ثقابة الذهن ولطف الغوص على تلك المعانى الجليلة الشريفة الدقيقة أعجوبة دهره ونادرة الفلك فى زمانه فان هذه الكتب الفلسفية كانت متداولة ببلاد الأندلس فى زمان الحكم مستجلبها ومستجلب غرايب ما صنف بالمشرق ونقل من كتب الأوائل وغيرها، نضر الله وجهه، وتردد النظر فيها فما انتهج لناظر قبله سبيل، وما نقيد عنهم فيها إلا ضلالات وتبديل كما تعدد عن ابن حزم الأشبيلى وكان من أجل نظار زمنه وأكثرهم لم يقدم على إثبات شىء من خواطره وكان أحسن منه نظرا وأثقب لنفسه تمييزا وإنما انتهجت سبل النظر فى هذه العلوم بهذا الحبر وبمالك بن وهيب الأشبيلى فانهما كانا متعاصرين غير أن مالكا لم يتقيد عنه إلا قليل نزر فى أوائل الصناعة الذهنية ثم أضرب الرجل عن النظر ظاهرا فى هذه العلوم وعن التكلم فيها لما لحقه من المطالبات فى دمه بسببها ولقصده الغلبة فى جميع محاوراته فى فنون المعارف، وأقبل على العلوم الشرعية فرأس فيها أو زاحم ذلك لكنه لم يكن يلوح على أقواله ضياء هذه المعارف ولا قيد فيها باطنا شيئا ألقى بعد موته. وأما أبو بكر رحمه الله فنهضت به فطرته الفائقة ولم يدع النظر والتنتبج والتقييد لكل ما ارتسمت حقيقته فى نفسه على أطوار أحواله وكيف ما نعرف به زمنه" معن مقدمة صـ٨ ملحق ص ١٧٥-١٧٦.

إشراقيات الفارابى فى آراء أهل المدينة الفاضلة. وسيادة التصوف فى المغرب عند ابن عربى لا تقل عن سيادة التصوف فى المشرق عند الغزالى. فالخصوصية المغربية تضحية بالتاريخ من أجل الجغرافيا، وبالعلم من أجل السياسة، وبالعرب والمسلمين من أجل الغرب والفرنسيس، وتعويض عن النقص أمام المشارقة بكمال المغاربة، الأندلس حضارة المسلمين شرقا وغربا فتلك بضاع ردت الينا، والمحافظة والتقليد فى المغرب وسيطرة الفقهاء لا تقل عنها فى المشرق. المشرق رائد باستمرار وسباق على الغرب بالرغم من دعوة المغاربة المعاصرين للخصوصية[1].

وهناك صورة أخرى لابن باجه من تليمذه ابن الامام بعيدا عن السلطة مما يدل على قدرة المؤرخين على خلق نماذج تتساوى فيها البطولة مع الخيانة، الايمان مع الكفر. فعند ابن الامام ابن باجه ثاقب الذهن، لطيف القوص على المعانى الجليلة الشريفة، أعجوبة دهره، ونادرة الفلك فى زمانه. استطاع توضيح لقب الفلسفة الواردة إلى الأندلس، بل فاق ابن حزم ومالك بن وهيب، وكلاهما من اشبيلية. بالرغم من ترك مالك لها إلى العلوم الشرعية. ربما كان مشروع ابن باجه إنقاذ ما يمكن إنقاذه فى الأندلس، إحياء الفلسفة وهو ما حاول ابن رشد استكماله من بعده. وهو ما يحاول مشروع "التراث والتجديد" استكماله بعدهما. فأى الصورتين أحق وأصدق لابن باجه. صورة ابن خلكان أم صورة ابن الامام؟

ويمثل ابن باجه وحدة المعرفة الممثلة فى علوم الحكمة. كما هو الحال فى القرآن. فهو فيلسوف وشاعر يجمع بين الحكمة والأدب مثل ابن حزم والفقهاء. فالأدب جزء من الفلسفة ويجمع بينهما الرياضيات والمنطق والطبيعيات والالهيات والانسانيات بما فى ذلك الموسيقى والفلك كجزء من علوم الحكمة. لم يأخذ موقف محايدا من العلم أو أسطوريا من العالم بل موقفا عقلانيا من الانسان والطبيعة ضد خرافات العجائز، والعقل النظرى والعقل العملى معها، فى المعرفة والأخلاق[2]. كان من المقلين فى التأليف بالرغم من قوائم مصنفاته بالعشرات. المنشور له حوالى أربعون مقالا وكتابا ومن ثم فهو ليس فيلسوفا ثانويا. ويمكن الحكم عليه عن مؤلفاته المنشورة التى تبلغ مجموع ما يذكر له من مصنفات ومجموعها حوالى سبع وخمسين مصنفا.

---

(١) وهم يعتمدون على الشرق، فى تحليل الفرق بين الانشاء والخبر(زكى نجيب محمود) وإتهام نظرة المشرق للتراث أنها تحريضية وادعاء تحديث العقل العربى. بعد ان تجاوز البعض كتب الثانوية المقررة فى فلسفة العلوم. وربما أصولى المغربية تعود إلى جدى من بنى سويف.

(٢) وهو نفس موقف كانط.

وقد كانت صورة ابن باجه فى التراث ملحدا، يقول بالتعطيل ومذهب الحكماء والفلاسفة وانحلال العقيدة، وكأن الدين ضد العلم والعلوم الرياضية والفلك والعلل المباشرة، وكأن النقل ضد العقل. وقد كان المؤرخون مورخى السلطان[1]. لا هم لهم إلا السجع فى اللغة والمزايدة فى الدين. هاجمة فى أكثر من ست صفحات فى نهاية كتبه، يعيب عليه أنه جعل البهيمة أهوى من الانسان، وأنه اشتغل بالعلم، وأنه ابتعد عن ظاهر القرآن تأييدا للأشعرية الحسية السلطوية. مع أن المشروع الفلسفى عند بن باجه وابن طفيل وابن رشد بل والصوفى عند ابن عربى، والفقهى عند ابن الازرق، والأصولى عند الشاطبى محاولة لانقاذ الروح قبل أن يضيع الجسد، والحفاظ على الحضارة قبل ان تضيع فى الأندلس. كثر حساده بعد أن حظى بمنصب الوزارة أكثر من مرة. ثم قتل بالسم، ولكنه انجب ابن طفيل وابن رشد.

وما يهمّ هو نشر النصوص من ناشرين متعددين، كل منهم يؤدى دورا دون نقد كل منهم للآخر ازاحة له عن الطريق حتى يكون العالم واحدا فقط والآخرون أقل علما أو أكثر جهلا، الناجى واحد، والباقى هالكون[2]. مع أن احترام جهد السابقين واجب،

---

(١) هذا ما قال ابن خاقان فى قلائد العقيان وابن خلكان فى وفيات الأعيان ولا أقر بباريه ومصوره.. ولا قرعن باريه فى تهوره ، الاساءة اليه أجدى من الاحسان، والبهيمة عنده أهوى من الانسان. نظر فى كتب التعاليم، وفكر فى أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم، ورفض كتاب الله الحكيم، ونبذه من وراء ظهره ثانى عطفه، وأراد إبطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، واقتصر على الهيئة، وأنكر ان يكون لنا إلى الله فينة، وحكم للكواكب بالتدبير، واجترم على الله اللطيف الخبير، واجترأ عند سماع النهى وألا يعاد، واستهزأ بقوله تعالى ﴿الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾. فهو يعتقد أن الزمان دور وان الانسان نبات أو نور حمامة ثمامة، واختطاف خطاف قد محى الايمان من قلبه فماله فيه رسم، ونسى الرحمن لسانهم فما يجر عليه اسم، ولما فاتت سرقسطة من يد الاسلام، وباتت نفوس المسلمين فى قرقا منها فى يد الاستسلام.. العلوى ص ١٤٢ /١٤٦.

(٢) ينقد جمال الدين العلوى المعصومى لأنه لم يضف إلى كتاب النفس مقالتين فى نفس الموضوع: الفحص عن القوة النزوعية ومن قوله فى القوة النزوعة وهما مقالان نشرهما بدوى منفصلين. كما ينقد نشر المنحول، والحقيقة أن الانتحال ابداع فلسفى خالص والحضارة التى وضعت قواعد النقد التاريخى فى علم الحديث لا تخطىء النسبة. كما ينقد عبد الرحمن بدوى لأنه ينشر المنشور سلفا وهو نموذج من السطو الفلسفى دون تحقيق جديد أو مراجعة. لذلك كثر النشر على هذا النحو. كما أن بدوى وضع صفحتين من ابن باجه فى آخر مقال الفارابى فى الرد على جالينوس فيما خالف فيه أرسطو. فالعلوى يريد النسبة وبدوى يريد التجميع. وقد نشر العلوى نفسه النفس النزوعية وهى منشورة سابقا جمال الدين العلوى: مؤلفات ابن باجه ص ٣٢/٤٥/٢٢-٣٦/١٢٣. وينقد ماجد فخرى لأنه نشر رسائل ابن باجه تحت عنوان "رسائل ابن باجه الالهية" وعنايته بالمنطق والطبيعيات خاصة الطب أكثر من عنايته=

والاعتراف بفضلهم سنة. والعنف معهم خاصة بدوى وقنواتى لا مبرر له وكلاهما يستحقان كل تقدير. صحيح ان النقل بلا تحقيق أو بحث فى المخطوطات القديمة، غير علمى وعدم الاشارة اليها أيضا تنقصه الأمانة ومن ثم يكون البحث والتمحيص والاحالة إلى المصادر أكثر علمية وأمانة دون تعال أو ادعاء أو إزاحة لزملاء الوطن والاحلال محلهم حتى ولو كان بدون نقد أو تشهير. وكل نشر وتحقيق خطوة فى سبيل العلم. السابق له فضل البداية، واللاحق له فضل الاكمال. الهدف النشر الأول، حتى ولم يكن علميا مثل النشر الأزهرى أو الهندى فى الجامعة العثمانية. الغرض منه معرفة النصوص. والنشر العلمى اللاحق الغرض منه ضبطها بعد استيفاء أدوات البحث العلمى ومناهجه.

وأخطاء الناقد كثيرة كأن نقده للآخرين يتوجه إلى نفسه[1]. ولا يعرف كل نشرات ابن باجه ولا اطلع على كل المخطوطات[2] ونماذجها[3]. وتحقيق مقدمات المستشرقين تتطلب وقتا وجهدا أكثر مما يتطلب النص نفسه، ويحول البحث العلمى إلى جدل. ويتجاوز النقد أحيانا النشر إلى القراءة التجزيئية المتعسفة، وكل قراءة تأويل تعكس نظر الباحث. كذلك تتعدد القداءات بما فى ذلك القراءة الاستشراقية المصمته التاريخية الخالية من أية دلالة حضارية. وتقدير جهد السابقين ضرورى فلولا السابق ما كان اللاحق، ولولا الخطأ ما كان الصواب، فى جدل السلب والايجاب[4]. كما أن الدراسات التجريبية

= باالالهيات، ويجعل نشره قد تم بشكل سريع راصدا فى الهوامش ما وقع فيه من خلط وتشويش. صحيح أنه من السهل معرفة مخطوطات الاسكوريال واكسفورد وطشقند ولم يستطع الحصول على مخطوط القاهرة ولكن الحصول عليه ليس صعبا. فلكل مجتمع ظروفه وعاداته. واحترام العلماء واجب دون الغمز واللمز عليهم والسخرية منهم مثل "وعلى الرغم من مرور أكثر من عشر سنوات على بشارته. وبمخطوط الاسكوريال مباحث العبارة ولا يدرى جمال الدين العلوى لماذا نشرها سليم سالم، السابق ص ١٢٤/١١٢-١١٣/٧٥/١٢٧.

(١) وضع Anfang ضمن عبارات ابن باجه وكأنها جزء من المخطوط مع أنها تعنى البداية بالألمانية.

(٢) مثل تحقيق سليم سالم عام ١٩٧٦ من المخطوط العام، أوطشقند أو لمخطوط برلين ومن ثم يتوجه اليه نفس النقد الذى يوجهه هو إلى بدوى

(٣) ١- مؤلفات الفارابى لجعفر آل يسن وحسين محفوظ، دار الآداب بغداد ١٩٧٥. ٢- مؤلفات ابن سينا للأب قنواتي، دار المعارف القاهرة ١٩٥٠. ٣- مؤلفات الغزالى لعبد الرحمن بدوى، الكويت ١٩٧٧. ٤- مؤلفات ابن رشد للأب قنواتى، القاهرة ١٩٧٨. ٥- مؤلفات ابن عربى لعثمان يحيى، دمشق ١٦٩٤. ٦- مؤلفا ابن خلدون لعبد الرحمن بدوى ١٩٧٩ الدار العربية للكتاب ليبيا (مدح هذا الأخير فحسب).

(٤) يتهم العلوى مجهود سابقيه بأنها مقالات سريعة لا تعدو ان تكون لغوا من الكلام، ص ٢٣، ويتهكم العلوى على مصطفى حلمى فى مقارنته القطوع عند ابن سيده والخطوط عند أوقليدس العلوى، ص٨٦.

لها محاسنها وعيوبها[1]. وان ذكر الدراسات عن ابن باجه بأسماء اصحابها جزء من الأمانة العلمية[2].

وما يعنينا فى النص ليس الاستشراق بل الدلالة الحضارية لملاحظات المستشرقين. فالنص وثيقة حضارية جماعية بين المؤلف والناسخ والقارىء والمالك، كل يدون اسمه عليه تخليدا لذكراه، نسبه وأساتذته وألقابه[3]. والأفضل ترك المخطوط كما هو دون إضافة أسماء لها. فلو كان مؤلفها أراد تسميتها لفعل. وعيب أسماء الناشرين انها تخرج عن قصد المؤلف وقد تبرز قصدا غير قصده حتى يصح تحليل المضمون. وقد يحدث التحول من الشخص إلى الرمز من أرسطو إلى الحكيم فى المخطوط وعناوينه[4]. وقد يكون العنوان من الناسخ وليس من المؤلف كما يفعل الناشر الحديث. والبحث فى سنة ميلاده مجرد جهد استشراقى[5]. المهم انه ولد ومات فى أواخر الخامس وأوائل السادس. ومستشرق عربى أخر يؤرخ لوفاته بالميلادى ١١٣٨[6].

---

(١) جورج زيناتى: فلسفة ابن باجه الأندلسى وملامح الأيديولوجية العربية الراهنة، مجلة الباحث، العدد الثانى السنة الأولى ١٩٧٨ ص٢٤.

(٢) شخصية ابن باجه وتكوينه الثقافى والعلم بتحليل المؤسسة التعليمية فى الأندلس ونصوص ابن باجه موضوع دراسة مفصلة. وفى الهامش: وقد قام أحد الزملاء بمحاولة فى هذا الصدد وستنشر قريبا، العلوى ص ١٠.

(٣) ناسخ المخطوط الحسن بن محمد بن النضر من نسخة أبى الحسن بن الامام تلميذ أبى جاد المصرى (الأقصر) ص ٤٣. انتقل الابتياع الشرعى من كاتبه محمد بن البلا ذرى إلى ملك الشيخ أبو الفضل، ص ٤٧. ومن الألقاب التلميذ الشيخ العالم الورع الزاهد البر العدل التقى عصمة الأخيار وصفوة الأبرار السيد الوزير، ص ٤٤.

(٤) فى مخطوط الاسكوريال فى الورقة التى يذكر فيها الناسخ محتويات المخطوط نجد القضية التى محمولها فعل حال يسميها الحكيم المستقيمة والتى محمولها ماضى أو مستقبل يسميها المتصرفة، العلوى ص٧٤.

(٥) والغالب أنه ٥٣٣ (عند الجابرى ٤٧٥) وقد أجمع السابقون انه توفى فى أواخر القرن الخامس لأنه شاهد كسوف ٥٠٠ هـ وكتب إلى عبد الرحمن بن سيد حوالى ٤٨٠، وكيف يموت شابا لو ولده ٤٧٥ وتوفى ٥٣٣؟ كلها مسائل استشراقية.

(٦) رسائل فلسفية ص ١٦. ويذكر محمد سليم سالم تاريخ وفاته بالميلادى أيضا، ابن باجه: تعليقات فى كتاب بارمنياس. ويذكر ماجد فخرى فى تعاليق ابن باجه على منطق الفارابى تاريخ وفاته بالميلادى ١١٣٨ واضعا الحضارة الاسلامية فى مسار الحضارة الغربية، قبله محمد بن عبد الله بن مسرة (٩٣١م). ومسلم بن أحمد المجريطى (١٠٠٨م)، على بن حزم الظاهرى (١٠٦٤م). ويذكر صاعد عبد الرحمن بن اسماعيل الاقليدى وله تلخيص منطق أرسطو وأبو عثمان سعيد بن فتحون، وله شجرة الحكمة، وملك بن وهب الأشبيلى.

ونشر المسائل الفلسفية لابن باجه استشراق مادى نصى بلا دلالة حضارية، مادة أولى يمكن تأويلها. وتضم "رسائل ابن باجه الالهية"أعمال ابن باجه التى نشرت سابقا، فالمستشرقون العرب يعيدون نشر ما نشره من قبل المستشرقون الغربيون وفضله انه فيلسوف أندلسى مثل الكندى فى الشرق بالرغم من وجود بعض الصوفية مثل ابن مسرة وفقهاء مثل ابن حزم ونصارى مثل ملك بن وهب الذين ارتبطوا باليونانية مثل ارتباط نصارى المشرق[1].

أ- الابداع الكلى. ويغلب على أعماله التأليف أكثر من الشرح والتلخيص، سواء كان تمثلا للوافد أو جمعا للوافد والموروث أو تنظيرا للموروث على عكس الفارابى الذى يغلب على مؤلفاته الشرح والتلخيص أكثر من التأليف. ومن ثم يبدو خطأ القبول بأن أعمال ابن باجه شروح. هى تأليف لتمثله الوافد وإعادة عرض الوافد من خلال الموروث وتنظير الموروث. ويبدو التأليف فى عناوين المؤلفات التى تشير إلى المعانى والموضوعات وليس إلى النصوص والعبارات. لم يسمها ابن باجه شروحا كلها بل قولا وتعليقا وكلاما ورسالة وفصلا وذكرا ونبذة وكتابا وجملا... الخ حتى ولو كانت من الناسخ. فالنص عمل حضارى مشترك بين المؤلف والناسخ والقارىء والمالك. كما ان باجه يلخص المقالات الأربعة الأولى من السماع فى مقالة واحدة، فهو تأليف وليس شرحا، يؤلف فى العلم الطبيعى ولا يشرح السماع الطبيعى. والقوة فى البداية بالعلم مباشرة وليس بكتاب فيه أو قول عليه. لذلك لا يظهر التعبير الشهير قال أرسطو والذى اتخذه الاستشراق دليلا على التبعية. والتأليف فى العلم الطبيعى أى فى الواقع الطبيعى المحسوس المرئى. ويتضمن المقال حدودا أى تعريفات وليست أقاويل شارحه. وكان التوجه قرآنيا خالصا ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾،﴿ وفى الأرض آيات للموقنين﴾. ويعرض ابن باجه نفسه بأنه فى بداية المقالة الخامسة[2]. السماع الطبيعى ليس قولا شارحا بل تأليفا، دراسة للمتحرك والساكن. وقد تكون أكثر أعماله اقترابا من الابداع بالرغم مما فيها من إحالات إلى الوافد والموروث: تدبير التوحد، ورسالة الاتصال، ورسالة الوداع. وتتسم كلها بأنها أعمال

---

(١) نشرها اجد فخرى بعد نشر أثينى بلاثيوس.

(٢) هذه المقالة تضمنت حدودا وأحوالا ذاتية للمتحرك والساكن من حيث هو متحرك ساكن وليس أقاويل شارحة فانها عندما تؤدى حدودها يقع اليقين بوجودها وليست فيها أقاويل تصديقية إلا يسيرة بمقدار ما يضطر اليه فى تعريف أجزاء الحدود. المتحرك يقال على ثلاث جهات ص ٤٦. وبداية السماع الطبيعى "كل صناعة نظرية فلها ما عدد فى مواضع أخر من المبادىء ثلاثة أصناف تتقدم سائر أجزائها فى الرتبة هى" ص١٢.

قصيرة لم تتم. لا ينتهى عمل إلا ويبدأ بآخر يحيل اليه كما تدل عليه عبارات الاحالة[1].

وبالرغم من تواصل الموضوع الوافد والموروث والواقع أو آليات التأليف إلا أن التصنيف طبقا للأنواع الأدبية، الشرح والتأليف، كان ضروريا لمعرفة مراحل التحول من النقل إلى الابداع، فالمهم هو المنهج وليس الموضوع، طوليا وليس عرضيا. وهذا لا يمنع من وجود دراسات أخرى للموضوعات تخترق الأنواع الأدبية.

وطبقا لقائمة مؤلفاته يغلب التأليف على الوافد والموروث. فهناك خمسة أعمال فى الوافد، وخمسة فى الموروث، وسبعة عشر عملا بلا إشارة إلى وافد أو موروث صراحة [2]. فالتأليف المستقل عن الوافد والموروث ضعفهما معا. ويغلب على عناوين التأليف موضوعات الوافد مثل: البرهان، النفس.

ويمكن تصنيف مؤلفات ابن باجه طبقا للفهارس القديمة أو القوائم الجديدة أو طبقا للناشرين أو حسب مراحله الفكرية. ولكن الأنسب لمعرفة التحول من النقل إلى الابداع تصنيفها طبقا للنوع الأدبى، الشرح أو التأليف وأنواعهما. ويمكن تقسيمها إلى خمسة أنواع: الشرح، والتعليق، والتأليف فى موضوعات الوافد وعلومه من أجل تمثله، والتأليف فى الوافد من خلال الموروث نظرا للتراكم الفلسفى، والتأليف فى الموروث ثم التأليف

---

(١) مثل: ونترك هذا لمناسبة أخرى، فانا نرجىء القول فيها، فسنقول فيه، اذا افرغنا له فسنقول فى ذلك، اذا انتهينا إن شاء الله، معن، مقدمة ص ١١.

(٢) فى قائمة محمد سليم سالم. فى الوافد: ١- كتاب الآثار العلوية لأرسطوطاليس ٢- قول على بعض كتاب الكون والفساد لأرسطوطاليس ٣- قول على بعض المقالات الأخيرة من كتاب الحيوان لأرسطاطاليس ٤- كلام على بعض النبات لأرسطاطاليس ٥- كلام على شىء من كتاب الأدوية المفردة لجالينوس.

فى الموروث: ١- تعاليق على كتاب أبى نصر فى الصناعة الذهنية ٢- جوابه لما سئل عن هندسة ابن سيد المهندس وطرقه ٣- اختصار الحاوى للرازى ٤- كتاب التجربتين على أدوية ابن وافد بالاشتراك مع أبى الحسن سفيان ٥- رسالة إلى أبى جعفر بن يوسف بن أحمد بن حسداى.

فى التأليف (الواقع): ١- قول ذكر فيه التشوق الطبيعى وماهيته ٢- كتاب اتصال العقل بالانسان ٣- كلام فى الأمور التى يمكن بها الوقوف على العقل الفعال ٤- كتاب النفس ٥- كلام فى الفحص عن النفس النزوعية وكيف هى ولم تنزع ومما تنزع ٦- رسالة الوداع ٧- قول يتلو رسالة الوداع ٨- تعاليق حكمة وجدت متفرقة ٩- أسباب البرهان وحقيقته ١٠- كتاب تدبير المتوحد ١١- فصول قليلة فى السياسة المدنية وكيفية المدن وحال المتوحد فيها ١٢- كلام فى الغاية الانسانية ١٣- كلام فى البرهان ١٤- كلام فى الاسم والمسمى ١٥- نبذة يسيرة فى الهندسة والهيئة ١٦- كلام فى الأسطقسات ١٧- كلام فى المزاج، محمد سليم سالم ص ٢٧.

الابداعى الخالص بالرغم من تداخل هذه الأنواع الأدبية[1]. وهناك ستة قوائم معروفة[2]. وفهارس المكتبات غير دقيقة وصعبة وتطلب وقتا وجهدا لتحقيقها مما يبين أهمية التوثيق وإعادة النظر فى التحقيق والنشر. والنص وثيقة حضارية جماعية بين المؤلف والناسخ والقارىء والمالك. المؤلف يكتب والناسخ يخرج، القارىء يعلق، والمالك يوقع[3]. ما يهم دلالته وليس ضبطه، فتلك مهمة الاستشراق.

وكل قائمة لها معيار تصنيفها. فقائمة ابن الامام تبدأ بالنقل (الوافد) ثم الابداع ولا تعطى إحصاء كاملا بل قلب العمل دون الأطراف. وتركز على شرح الفارابى فى المنطق. وتذكر الطرف الآخر الذى يرسل اليه العمل (الوزير)، ويتفادى التكرار، ويضم أجزاء مقالات السماع الطبيعى إلى الكتاب الأم وكأن المصنف يريد معرفة اتجاهات التأليف عند ابن باجه، لا فرق لديه بين المنطق والطبيعيات والالهيات (الانسانيات) لبيان وحدة المذهب. يبدأ بالطبيعيات وينتهى بالالهيات (الانسانيات) ويعود إلى الطبيعيات من جديد مما يدل على أن رؤية ابن باجه للحكمة أنها أساسا طبيعية، والالهيات طبيعيات مقلوبة، والانسان فى الطبيعة، والمنطق آلة. ويربط ابن الامام بين الأعمال بأفعال وحروف تدل على وحدة العمل وكأن ابن باجه له مسار فكرى واحد، يؤدى كل عمل سابق إلى العمل اللاحق مع ذكر الترتيب الذى يوحى بالزمان. ويبدو ان كتاب المتوحد الذى اشتهر عنه واحد من عشرات المؤلفات. كما يركز المصنف على سلامة النص وإن

---

(١) قائمة مصطفى حلمى مجرد تعليق عام من ضرير ولا تحتاج إلى هذه القسوة من العلوى. وقام الاتراك بحفظ التراث فى "هدية العارفين". وهناك بعض الأقوال المنسوبة له بلا عنوان أو موضوع مثل من الأقاويل المنسوبة اليه (اكسفورد، ماجد، معن) كملاحق للسماع الطبيعى، وقال فى رسالة كتب بها إلى بعض إخوانه (وهى رسالة الوداع).

(٢) هذه القوائم الست هى :

١- قائمة المؤلفات كما حصرها القاضى ابن النضر من خلال مجموع ابن الامام (أكسفورد (٢٠).

٢- قائمة ابن أبى أصيبعة (٢٧).

٣- قائمة ابن طفيل.

٤- هدية العارفين(١٠).

٥- قائمة ماجد فخرى.

٦- قائمة محمد مصطفى حلمى.

(٣) مخطوط اكسفورد يرجع إلى ٥٤٧هـ، وناسخه هو الحسن بن محمد بن النضر الذى نقله عن نسخة أبى الحسن بن الامام تلميذ ابن باجه، وبنفس الخط مدفعى ص ٤٧، انتقل بالابتياع الشرعى ...ص ٤٧، وورد فيه كلام غير عربى ص ٧، العلوى ص ٤٧.

كان كاملا أم ناقصا. كما يحدد النوع الأدبى اذا كان شرحا أو قولا أو تعليقا أو كلاما أو ذكرا أو رسالة أو فصلا أو كتابا أو نبذة أو جملا.

ويقوم الناسخ بتقديم مجموع المؤلفات، وينتقى منها طبقا لمقاييسه، الأهمية أو المزاج، قصدية أو عفوية أو البداية بالنقل ثم التثنية بالابداع أو البداية بالمنطق والطبيعيات ثم التثنية بالسياسيات. كما يذكر الناسخ النقل الكتابى، المناولة من يد إلى يد، من الأندلس إلى المغرب إلى صعيد مصر[1]. مع حفظ الألقاب للناسخ والمالك وذكر التاريخ والمكان والدعوة للجميع.

تدبير المتوحد ربما آخر ما كتب. ومع ذلك هل يمكن ترتيب مؤلفات الفيلسوف طبقا للترتيب الزمانى لمعرفة تطوره؟ ليس التأليف بناء على مأساة فى حياته ومزاجه ومواقفه بل تعبيرا عن بنية حضارية سابقة عليه فى احصاء العلوم[2].

وفى مجموعة أكسفورد اثنتا وثلاثون رسالة، تركز على السماع الطبيعى، وتفحصه مقالة مقالة مع التركيز على السابعة والثامنة عن المحرك الأول وهو بؤرة الحضارة الاسلامية مع استعراض أجزاء الطبيعيات كلها أكثر من المنطق أو ما بعد الطبيعة على عكس الفارابى الذى بدأ بالمنطق وابن رشد الذى شرح الكل عودا على بدا. ويعود ابن باجه إلى المنطق مثل الفارابى. ويكون القول فى المعانى الحلقة المتوسطة بين الالفاظ والاشياء. ويكتفى ابن باجه بمنطق اليقين دون منطق الظن. ويشعر الناسخ بالمنحول لذلك يقول "المنسوبة اليه".

ويختلف النوع الأدبى للرسائل بين القول والكلام والشرح. فليس أرسطو فقط هو

---

(١) وحيث انتهيت إلى مثل هذا الموضوع من الأصل وجدت ما مثاله: قابلت جميع ما فى هذا الجزء بجميع الأصل المنقول منه وهو بخط الشيخ العالم الورع الزاهد البر العدل التقى عصمة الأخيار وصفوة الأبرار السيد الوزير أبى الحسن بن عبد العزيز بن الامام السرقسطى وهو ينظر فى أصله المحبوبة من يد فريد دهره وبشير عصره ونادرة الفلك فى زمانه أبى بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجه قراءة بقراءة على المصنف بأشبيلية. والعزيز المذكور أدام الله عزه يومئذ عامل عليها ومستفاد لخراجها وما أضيف من العمل اليها وكان فراغ الوزير أدام الله عزه من قراءة هذا الجزء عليه فى تاريخ آخره اليوم الخامس عشر من شهر رمضان سنة ثلاثين وخمسمائة. وكتب الحسن بن محمد بن عمر بن محمد بن النضر بقوص فى شهر ربيع الاخر سنة سبع وأربعين ومائة نسأل الله سبحانه علما نافعا فى الدنيا والآخرة، انه على ما يشاء قدير، ابن سيد ص ٨٧.

(٢) الفيلسوف الغربى تطور لأنه Pose أما الاسلامى فانه expose. الأول تاريخى والثانى بنيوى. (باستثناء الغزالى).

الذى يقول وله قول بل أيضا ابن باجه يقول وله قول، وليس كل أقواله نظرا للتبعيض فى "من قوله" وأحيانا الكلام والنظر دون تحديد للموضوع. ويبدأ المصنف بالواقد قبل الموروث وقبل الابداع ممثلا فى تدبير المتوحد[1].

وتذكر مخطوطة برلين أربعا وعشرين رسالة، تقوم على بيان القصد وتوضيح الهدف من كل رسالة، وتكشف عن وحدة العمل الفلسفى كله إذ تؤدى كل رسالة إلى السابقة أو اللاحقة، وتخاطب القارىء لتسهل عليه فهمه. فالعمل رسالة بين المؤلف والقارىء. كما تكشف عن البعد الدينى صراحة كما هو الحال فى نهاية "رسالة الدوام"، "ولذلك فى خلق الاشياء بالدوام هو الله عز وجل وهو معطى الدوام". كما تبدأ بالدعاء للقارىء. ويكمل ابن باجه عملية إيضاح جالينوس لأبوقراط، مع إحساس بهموم قصر العمر وبالوعى التاريخى بذكر المتقدمين ويلاحظ أنها كلها فى الطبيعيات، وأن السماع رسالة واحدة، والمزاج رسالتان، والحيوان رسالتان، مرة فى الموضوع ومرة فى المعنى، وأن العقل رسالتان، وأن هناك بعض الموضوعات المتناثرة تحت عنوان فنون شتى، وأن رسالتين فقط يحملان أسماء أعلام فى العنوان (الاسكندر وأرسطو). وفى مخطوط الاسكوريال يضم خمس مقالات فى المنطق بينما يضم مخطوط طشقند أربع مقالات فى الطبيعيات[2].

وما مقياس تقسيم الرسائل الثلاث والعشرين إلى قسمين، الأول أحد عشرة رسالة والثانى اثنا عشرة رسالة؟ وكل العناوين من الناشر باستثناء العنوانين فى القسم الأول مما قد يظهر قصدا لم يشأ المؤلف اظهاره أو توجيه عمل نحو قصد لم يكن قصد المؤلف. وعناوين القسم الأول بها فقط ثلاثة أعلام مما يدل على غلبة الموضوعات على الأشخاص بينما القسم الثانى خلو منها كلها[3]. والقسم الأول أكبر من الثانى[4]. وأطول رسائل القسم الأول فى الوحدة والواحد "وأصغرها" ومن كلامه فى الالحان. وأطول رسائل القسم الثانى "من كلامه ارتياض فى تصور القوة الناطقة" وأصغرها: ومن كلامه بين العقل والقوة المخيلة واتصال العقل الانسانى بالأول، نظر آخر فيض العلم الالهى، ومن كلامه فى العلم الانسانى والعقول الثوانى والعلم الالهى، فى تراتب العقول وظهورها. القسم الاول يغلب عليه المنطق والطبيعيات، والثانى يغلب عليه العقليات ممثلة

---

(١) بدوى ص ١١٧-١٢٩.

(٢) السابق ص ١٢٨-١٢٩.

(٣) الأول (٧٣ص)، الثانى (٤٩ص).

(٤) الأطول (١٢ص)، والاقصر (٢ص).

فى نظرية الاتصال وهى ما تعادل الالهيات. أما الالهيات بمعنى المحرك الاول ففى الطبيعيات. وبالاضافة إلى الثلاثة وعشرين رسالة هناك سبع عشرة رسالة أخرى فيكون مجموع المعروف من عمال ابن باجه أربعين من سبع وخمسين رسالة، أكثر من الثلثين مما يسمح باصدار حكم على مجمل فلسفته.

والأفضل الحرص على وحدة كل عمل ومعرفة جدل الوافد والموروث وآليات التأليف بالرغم مما يوقع ذلك فى التكرار بدلا من الاختراق العرضى لها كلها فتجمع الوافد معا والموروث معا وآليات التأليف معا مما يساعد على إصدار الحكم على ابن باجه ولكنه لا يكشف عن آليات التأليف.

ويمكن تصنيف أعمال ابن باجه طبقا لثلاث مراحل فى حياته. الأولى يغلب عليها الأعمال المنطقية، والثانية ويغلب عليها الأعمال الطبيعية، والثالثة يغلب عليها الأعمال الالهية، وكأن أجزاء الحكمة الثلاثة، المنطق والطبيعيات والالهيات تعبر عن مراحل العمر. ومع ذلك لا يوجد ضمان أنها ألفت جميعا فى مرحلة الشباب، بالاضافة إلى صعوبة تحديدها. وهل تدل هذه المراحل على تطور طبيعى أم أنها المصادفة التى جعلت مراحل العمر الثلاث تطابق أقسام الحكمة الثلاثة. ويلاحظ التأليف فى الوافد أو الموروث فى المرحلة الأولى، والابداع فى المرحلة الثالثة، والثانية متوسطة بين النقل والابداع[1].

ويلاحظ على مجموعة المرحلة الأولى البداية بالرياضة والمنطق، ودخول الموسيقى والفلك ضمن الرياضيات. ويغيب الوافد، ويظهر الوافد الموروث أو الموروث وحده. كما يظهر تكرار التعليق على بعض الكتب مثل المقولات مرتين ولواحق المقولات، والعبارة مرتين وكتاب العبارة، والقياس، وارتياض فى كتاب التحليل، والبرهان مرتين، والمدخل والفصول وإيساغوجى. ويغيب منطق الظن مع أنه شاعر ويحضر منطق اليقين، وهو ما أكمله ابن رشد. ويصعب تصنيف "فى ماهية الشوق الطبيعى"فى الانسانيات أو النفسانيات أم الطبيعيات فى المرحلة الرياضية المنطقية الأولى بالرغم من الحديث عن الأسباب الأربعة فى إطار منطق البرهان[2].

ويظل الغالب على ابن باجه المنطق والطبيعيات أى العقل والواقع، الانسان

---

(١) المرحلة الأولى ١٩ رسالة، الثانية ٢٧ رسالة، الثالثة ١٢ رسالة، مجموعها ٥٨ رسالة. أكبرها الثانية وأصغرها الثالثة.

(٢) العلوى ص ٥٣/٦٤.

والعالم. أما الالهيات فانها تأتى بطريقة مباشرة فى الطبيعيات مثل الوحى والله فى ثلاثى بنيوى على النحو الآتى:

والمرحلة الثانية المرحلة الطبيعية وهى أكبر المراحل. تتكرر فيها بعض الموضوعات أيضا خاصة المزاج. ويتم تفصيل السماع الطبيعى فى خمسة مؤلفات، والتأليف فى الطب والنبات والحيوان كأجزاء من الطبيعيات. وظهور موضوعات طبية فلكية وطبيعية للتأليف المستقل مثل الصورة، والمادة، والأسطقسات، والمزاج، والأدوية المفردة، والحميات، والنيلوفر، وذكر أبقراط وجالينوس من الوافد، وذكر ابن وافد والرازى والحسن بن الامام من الموروث، واليهود جزء من الأمة. والغريب ظهور بعض مسائل العلم المدنى فى المرحلة الطبيعة وهى أقرب الى الانسانيات والاجتماعيات[1].

المرحلة الثالثة وهى المرحلة الالهية وهى أصغر المراحل. تتكرر بعض موضوعاتها مثل رسالة الوداع وقول يتلو رسالة الوداع، والنفس النزوعية مرتين وهو نفس عنوان ابن رشد. يغيب لفظ الالهيات عنها ويغلب عليها الانسانيات، النفسيات والعقليات مثل إخوان الصفا فى الشرق. ومع ذلك تتداخل مع الطبيعيات فى النفس والمتحرك. تخلو من أسماء الاعلام والسماء والمؤلفات. أقرب الى الموضوعات منها الى الأجوبة على أسئلة. لا تخلو بعض العناوين من جمال مثل "رسالة الوداع" بما يثيره من حنين وشجن وهموم قصر العمر[2].

واذا تم تصنيف الرسائل الثلاث والعشرين طبقا للأنواع الأربعة، تمثل الوافد، وتمثل الوافد مع تنظير الموروث وقبله وبعده، وتنظير الموروث، والابداع الخالص فاننا نجد الآتى:

١- تمثل الوافد (رسالتان) لأن التمثل كان قد تم من قبل منذ الكندى والفارابى وابن سينا.

٢- تمثل الوافد وتنظير الموروث (اثنا عشرة رسالة)، قمة التأليف، المزدوج.

٣- تنظير الموروث (رسالتان)، فقد كانت تلك مهمة الكلام والتصوف والأصول.

---

(١) السابق ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) السابق ص ١٦٦.

٤- الابداع الخالص (سبع رسائل) مما يدل على اتساع رقعة الابداع الخالص دون إحالة الى وافد أو موروث.

وبالنسبة لمكونات الابداع، الوافد والموروث والواقع يمكن استنباط بعض الملاحظات العامة:

١- الوافد أكثر واليونانى أقل فى حين أن الموروث أقل والعربى أكثر فى مرحلة الابداع.

٢- فى القسم الأول الوافد أكثر (منطق ورياضة وطبيعة) وفى القسم الثانى الموروث أكثر (عقليات والهيات).

٣- القسم الأول أقرب الى النقل، والقسم الثانى أقرب الى الابداع.

٤- القسم الأول كما أطول من الثانى. فالنقل إسهاب، والابداع تركيز.

٥- الرسائل فى القسم الاول أطول، وفى الثانى أقصر[1].

٦- ظهور الموروث فى الجزء الثانى اكثر من الجزء الأول مما يدل على ارتباط الابداع بالموروث.

ومن ثم يمكن توزيع مؤلفات ابن باجه على مكونات الابداع الثلاثة كالآتى:

١- التأليف فى موضوعات الوافد وعلومه. وهو التحول من اللفظ إلى المعنى،

---

(١) ويحضر الوافد فى مجموع الرسائل الثلاث وعشرين يتصدره أرسطو (٢٢) ثم الاسكندر، وأقليدس، وسقراط (٥) ثم أفلاطون (٤) ثم بطليموس (٣) ثم ثامسطيوس، وأبولونيوس (٢). ومن الكتب يتصدر السماع (١١) ثم الكون والفساد (٥) ثم الآثار العلوية والثامنة من السماع، والسماء والعالم وإيضاح الخير (٢) ثم المخروطات، ونيقوماخيا، والبرهان، وارمنياس، والحيوان، وقاطيغورياس، وما بعد الطبيعة، وكتاب الحروف، والفلسفة الأولى لأرسطو، والحروف للاسكندر (١) والمفسرون من الالفاظ (١). وتكون النتيجة: من الاعلام (٨)، والكتب (١٦) والمفسرون (١) وشاعر اليونان (١). أما الموروث فيتصدر الفارابى (١٥) ثم الزرقلة (٦) ثم المنصور (٤) ثم الغزالى وابن سيد (٣) ثم أبو مسلم، (٢) ثم ابن حسداى وابن الهيثم وابن الامام وابن الصائغ وابن النضر وامرؤ القيس وعبد الله بن على (١). ومن الكتب: عيون السائل (٢) ثم الشكوك على بطليموس، وشرح الخطابة، والموجودات المتغيرة، وكتاب الملة والمشكاة وشرح الأخلاق ومقالة العقل والمعقول. ومن ألفاظ الموروث: القرآن (٥) الشريعة (٢)، أشعار العرب، نحويو العرب، لغة العرب، العرب، لسان العرب، الشرع، السنن، الصوفية، تبع، اشبيلية (١). فالنتيجة: الأعلام (١٧) والكتب (٨) والألفاظ الموروث (١٣) وإخوان الصفا والصوفية (٢). فالموروث يفوق الوافد فى الأعلام والمجموعات والألفاظ بينما يزيد الموروث فى الكتب.

وإعادة بناء المعنى. ويلاحظ عليها تكرار بعض الأعمال والتأليف فيها أكثر من مرة مثل: المزاج، والنفس النزوعية. ولا توجد عناوين بل موضوعات أى الذهاب الى الشيء، الأمر وفى نفسه مباشرة[1].

٢- التأليف فى الوافد من خلال الموروث (التراكم الفلسفى). وهو التأليف فى الوافد بعد أن تم تحوله الى موروث على أيدى الحكماء المسلمين خاصة الفارابى. ويظهر نفس الشيء بتحليل فهارس المؤلفات[2]. ويظهر الفارابى المنطقى، ويتقدم شرح إيساغوجى أى المدخل أو الفصول، كتاب واحد له ستة شروح بالاضافة الى قول سابع على كتاب العبارة[3].

---

(١) وذلك مثل: أ- رسالة اتصال العقل بالانسان (بلاثيوس، الأهوانى، ماجد).
ب- الوقوف على العقل الفعال(ماجد).
جـ- ومن قول أبى بكر فى النبات (بلاثيوس).
د- كتاب النفس (المعصومى).
هـ- كتاب الكون والفساد (المعصومى) أهمها: ١- كتاب الحركة ٢- فى الصورة الأولى ومساوقة الصورة للمادة ٣- فى الأسطقسات ٤- فى المزاج ٥- فى المزاج ٦- مقالة فى النبات ٧- النيلوفر ٨- فى العلم المدنى ٩- فى النفس النزوعية ١٠- النفس النزوعية ١١- فى المتحرك ١٢- فى الوحدة والواحد ١٣- فى الوقوف على العقل الفعال ١٤- فصول تتضمن القول على اتصال العقل بالانسان ١٥- القول فى القوة الناطقة ١٦- فى الالحان ١٧- فى الهيئة ١٨- أقاويل فى صناعة النجوم ١٩- فى ماهية الشوق الطبيعى.

(٢) أ- تعليق ابن باجه على إيساغوجى للفارابى (ماجد).
ب- تعاليق ابن باجه على كتاب المقولات للفارابى (ماجد).
جـ- تعاليق ابن باجه فى كتاب بارى ارمنياس (من كتاب العبارة) (سالم).

(٣) أ- تعليق على الكلمات الأولى من إيساغوجى لأبى نصر ٢- تعليق على ما ورد فى المدخل أو رسالة فى المنطق لأبى نصر. ٣- تعليق آخر على الكلمات الأولى من إيساغوجى لأبى نصر. ٤- شرح معنى كلمة فصول عند أبى نصر ٥- شرح الفصول الخمسة لأبى نصر. ٦- تعليق على جزء آخر من إيساغوجى لأبى نصر. ٧- ومن قوله رضى الله عنه على كتاب العبارة. ويضم مخطوط الاسكوريال تعاليق ابن باجه على كتب الفارابى فى المنطق وهى ستة:
١- تعاليق أبى بكر محمد بن يحيى بن الصائغ على كتاب ابى نصر فى المنطق.
٢- شرح مصادرة فى المقالة الأولى من كتاب إقليدس.
٣- شرح صدر الخامسة له أيضا.
٤- تعاليق من كلام الجرجانى على كتاب التحليل.
٥- تعاليق على كتاب المقولات.
٦- تعاليق على كتاب العبارة.
أما النصوص من ٢-٨ فمن الفارابى أيضا مما يدل على قرب الفارابى من ابن باجه. -

٣- التأليف فى الموروث. وهو التنظير له حتى يكون على مستوى تنظير الوافد، فى إبانة فضل عبد الرحمن بن سيد والزرقالة ابراهيم بن يحيى الاندلسى، وجعفر بن يوسف بن حسداى وابن وافد، والرازى، وابو الحسن الامام. فقد ارتبط بمعاصريه، لا فرق بين حياتهم وفكرهم أو بين حياته وفكره فى سيرة ذاتية تتخلل مؤلفاته. فالارتباط بالموروث قد ارتبط بالوافد منذ المرحلة الأولى.

ويظهر الطب كجزء من الموروث، واليهود جزء من الأمة، ورسالة من الاستاذ الى التلميذ. كما يظهر الفارابى المؤلف المستقل وليس فقط شارح أرسطو. ويظهر الزرقالى مع النهايات الايمانية مما يدل على أنه شيخ، وهو عالم الهيئة المحلى. فمن الموروث ظهر خمسة أعلام عبد الرحمن بن سيد، ابن الوافد، الرازى، بن حسداى، والحسن بن الامام فى حين من الوافد اثنان ابوقراط وجالينوس. ولم يظهر ارسطو. واليهود جزء من الحضارة[1].

٤- التأليف الابداعى الخالص. وهو التأليف المستقل عن الوافد والموروث فى آن واحد الى حد كبير[2].

= ومن مخطوط أكسفورد لأبى بكر محمد بن يحيى بن الصائغ على كتاب أبى نصر بن محمد الفارابى فى المدخل والفصول من إيساغوجى :

١- منها فى المدخل والفصول ٢- تعليق على ايساغوجى. ٣ الارتياض على كتاب المقولات. ٤- تعليق على كتاب المقولات. ٥- القول فى لواحق المقولات. ٦- كتاب العبارة. ٧- من كتاب العبارة. ٨- تعليق على كتاب القياس. ٩- ارتياض فى كتاب التحليل. ١٠- كلام على أول كتاب البرهان. ١١- قول أبى بكر محمد بن يحيى وكتاب البرهان. ١٢- كتاب المقولات. ١٣- كتاب بارى ارمنياس.

(١) فى ابانة فضل عبد الرحمن بن سيد. ٢- كتاب التجربتين على أدوية ابن وافد. ٣- كتاب اختصار الحاوى للرازى. ٤- رسالة إلى أبى جعفر يوسف بن حسداى. ٥- رسالة الى أبى الحسن الامام. وفى مخطوط أكسفورد كالآتى: ١- ومن كلامه ما بعث به لأبى جعفر يوسف بن حسداى. ٢- ومن كلامه على ابن نضر وغيره. ٤- وكتب رضى الله عنه الى الوزير ابى الحسن بن الامام. ٥- ومن قوله أيضا، (دفاع عن ابى نصر الفارابى فى السعادة الأخروية). ومن كلامه ما بعث به لأبى جعفر بن يوسف بن حسداى بدايته "أما الزرقالة ابراهيم بن يحيى الاندلسى فلم يقع قط فى طريق صناعة الهيئة عليه أمرها فهو يقول بحسب سوانحه ولوائحه فتضطرب أقواله"، العلوى ص ٣. وكان صديقا له يراسله من القاهرة ومن علماء الهيئة المشهورين مع نقد ابن الهيثم.

(٢) أ- رسالة الوداع (بلانيوس، ماجد)، قول يتلو رسالة الوداع(ماجد).

ب- تدبير التوحد (بلانيوس، دنلوب، ماجد).

جـ- فى الغاية الانسانية(ماجد).

د- فى الوحدة والواحد (بدوى).

ب- **الابداع الفلسفى الخالص.** ولابن باجه (٥٣١هـ) ابداعاته الفلسفية نظرا لقدرته على التركيز وبنية الموضوع اعتمادا على العقل الخالص مثل كلامه **"فى ماهية الشوق الطبيعى"**. وهو موضوع أرسطى دون أرسطو. وكلامه **"فى النيلوفر"**. وهو موضوع طبيعى علمى فى أسلوب صوفى يظهر فيه اللفظ المعرب الأسطقسات. وفى كلامه **"بين العقل والقوة المتخيلة واتصال العقل الانسانى بالأول"** يتناول موضوع الرؤية والكهانة كمدخل شعبى للنبوة. وقد تطرق لنفس الموضوع فى النفس النزوعية والوقوف على العقل الفعال وماهية الشوق الطبيعى. وينتهى بخاتمة إيمانية وإشارة الى الصالحين الذين هداهم الله وآمنوا به وبملائكته وكتبه ورسله، وعملوا بما يرضيه فانه يفيض عليهم بتوسط الملائكة فى الرؤيا والمعجزات. وواضح التقابل المزدوج بين قدرة عالية على التنظير فى الموضوع وخاتمة إيمانية صوفية دون تعارض العقل والذوق. ويكرر ابن باجه نفس الموضوع **فى "نظر آخر يقوى تصور ما تقدم"** فهو يتعامل مع موضوعات ليس مع رواقد حضارية، معتمدا على طبيعة العقل وليس على مكوناته: وفى **"فيض العلم الالهى"** بالرغم من أنه الموضوع صوفى إلا أن ابن باجه يبنيه عقليا فى خطاب قصير ومركز عن فيض الله من علمه على موجوداته ومخلوقاته من العلم والعمل. وفى نظر آخر **"فى الواجب الوجود والممكن الوجود"** يعتمد ابن باجه على العقل الخالص لاثبات أن العقول الالهية مع الدهر لا مع الزمان فى حين أن الاجرام السماوية مع الزمان لا فى زمان لأنها محدثة للزمان. أما الكون والفساد فحسب الزمان. وهى ثنائية الحكماء بين واجب الوجود وممكن الوجود، ثنائية الخلود والزمان[1]. وتظهر آليات الابداع فى أفعال البيان ووصف المسار الفكرى وأنماط الاعتقاد من شك وظن ويقين. ويطلب الناسخ للمؤلف رضى الله وهو يقوم بتقطيع النص الابداعى الخالص، مع تحديد المكان، اشبيلية، والتاريخ الهجرى، وقد تطول المقدمة الدينية فتغرق فى الايمانيات وتبدأ بالحمدلة والصلاة على الرسول وصحبه. ويقارن الناسخ بين الصورة والأصل، ويتعرف على الخط المنقول منه طبقا لطرق الرواية المدونة، الاجازة والمناولة، والقراءة

= هـ- فى المتحرك (بدوى).

و- فى الفحص عن القوة النزوعية (بدوى).

ز- ومن قوله فى القوة النزوعية (بدوى).

ح- ومن كلامه رضى الله عنه فى الألحان.

ط- كلامه فى النيلوفر.

(١) رسائل جـ١ ص ٩٧-١٠٢/١٠٦-١٠٧/١٥٤-١٥٥/١٧٠-١٧١/١٧٩-١٨٠/١٨٨-١٩٠.

على الشيخ وقراءة الشيخ كما هو معروف فى علم أصول الفقه. ويحدد الزمان والمكان واسم الناسخ. فالابداع النظرى مشروط بالموقف التاريخى[١].

٩- **نصير الدين الطوسى.** ويستمر الابداع الفلسفى الخالص فى القرن السابع عند **نصير الدين الطوسى (٦٧٢هـ) فى "رسالة بقاء النفس بعد فناء الجسد" شرح الشيخ أبى عبد الله الزنجانى**[٢]. والنص خال من الوافد والموروث. يعتمد على العقل الخالص وقسمة الموجودات إلى حسية وعقلية بحجج عقلية وبراهين صورية لاثبات الثنائيات الشهيرة فى الذهن البشرى، الكم والكيف، العرض والجوهر، المكان والزمان، المرئى واللامرئى[٣]. وهو التصور الذى يسهل إثبات فناء البدن وخلود النفس عليه، لأن البدن يقع فى طرف والنفس تقع فى الطرف المضاد. المتن قصير والشرح طويل. وكلاهما يخلو حتى من الموروث فى اللاوعى المعرفى، القرآن والحديث وأسماء الأعلام والفرق. وتبدو زيادة التفخيم والتعظيم فى الألقاب مثل الفيلسوف الكبير والفلكى الشهير الطوسى، علامة العالم، نصير الملة والدين، رسم المولى العالم الفاضل، مؤيد الدولة والدين قدوة المهندسين. والعلامة الكبير والمصلح التحرير الأستاذ الشيخ الزنجانى مما يدل على بداية التقليد واحترام القدماء فى نفس الوقت الذى يبلغ فيه العقل استقلاله. وينتهى النص كالعادة بسؤال الله العصمة والتوفيق لصوالح الأعمال. فالله ملهم العقل وولى الخير. منه المبدأ واليه المعاد. وهو أعلم بحقيقة الحال[٤].

١٠- **صدر الدين الشيرازى.** وفى رسالة "**الخلسة**" لصدر الدين الشيرازى (١٠٥٠ هـ) يعتمد الابداع الخالص على الذوق الصوفى. تبدأ برؤية فى المنام على لسان جده بعد صلاة بعض النوافل سائرا فى طريق وعر حتى رأى طلعة بهية. فاستيقظ وأدرك أنه طريق الملكوت الأعلى، الطريق الذى يسلكه الروح المنطقى مثل "رسالة الطير" لابن سينا[٥].

رابعا: الابداع الرياضى.

واضح أن الابداع الرياضى، الحساب، والهندسة، والفلك، والموسيقى وباقى العلوم

---

(١) السابق ص ١٠٢/١٠٦-١٠٧/٧٢/٨٢/٩٧/١٠٢/١٥٤-١٥٥.

(٢) الفيلسوف الكبير والفلكى الشهير نصير الدين محمد بن محمد الطوسى الوزير المتوفى سنة ٦٧٢هـ. رسالة بقاء النفس بعد فناء الجسد شرحها العلامة الكبير والمصلح التحرير للاستاذ الشيخ أبى عبد الله الزنجانى، عمارة رمسيس، شارع الفجالة بمدينة القاهرة. مصر (د.ت).

(٣) وهى الثنائية المشهورة فى الفلسفة الغربية من ديكارت حتى برجسون.

(٤) بقاء النفس ص ٣١.

(٥) صدر الدين الشيرازى: مجموعة رسائل ص ٢٦٥-٢٦٦.

بين الرياضة والطبيعة مثل علم المناظر هو أكثر الابداعات ربما لقدرة العقل الخالص الموجه بالتوحيد على إدراك التنزيه ودفع العقل الى ادراك اللامتناهي واللانهائي واللامحدود. فلا فرق بين صورية الرياضة والتنزيه فى التوحيد، بين الرياضيات البحتة ورفض التجسيم والتشبيه فى العقائد. فاذا كان نسق العقل هو نسق الوحى فمن الطبيعى أن يتحد النسقان فى نسق واحد. وهو نفس الدافع وراء الابداع الرياضى والمنطقى الهندى[1].

وكما يصعب التمييز بين الطبيعيات فى علوم الحكمة وبين تاريخ العلوم الطبيعية يصعب أيضا التمييز بين الرياضيات كجزء من المنطق وبين تاريخ العلوم الرياضية.

١- **الحساب والجبر.** وبالرغم من أن دور المترجمين كان نقل الوافد أولا وأحيانا تمثله ثانيا إلا أنهم أيضا ساهموا فى الابداع الخالص.

أ- **يحيى بن عدى.** ففى مقالة "**فى استخراج العدد المضمر من غير أن يسئل المضمر عن شىء**" **ليحيى بن عدى (٣٦٤هـ)** يغيب الوافد والموروث، ويتم الاعتماد على العقل الخالص. فيقسم العدد المضمر الى عشرة أنواع لاثبات المطلوب منها جميعا "وذلك ما أردنا معرفته". والبداية بالبسملة، والوسط بمشيئة الله وفى النهاية عون الله[2].

وفى "**البحوث الثلاثة عن غير المتناهى**" له أيضا يغيب الوافد والموروث على الاطلاق. غرضها إثبات أن من لوازم غير المتناهى أنه لا فرق بين التابع والمتبوع فى وجوب النفى أو عدم وجوبه، وأن يكون متناهيا من الأول والآخر، وأنه لا يلزم أن يكون هناك قبل وبعد له. ويتم شرح كل لازمة على حدة لبيان معناها عاريا عن اللبس ابتداء من شرح الالفاظ اعتمادا على الوضوح وأوائل العقول، والانتهاء الى "وذلك ما أردنا أن نبين". ويحيى هو الذى يقول بضمير المتكلم المفرد دارسا الموضوع دون الاعتماد على أقوال الآخرين. ونقل العبارات الدينية باستثناء البسملة فى البداية والاستعانة بالله والدعوة الى التوفيق للصواب والهداية الى كل حقيقة فى الوسط ثم الحمدلة فى النهاية، والشكر لله حسب ما يستحق بانعامه على جميع الخلق.[3]

---

(١) تم تحليل النصوص الكاملة وليس مجرد الشذرات لأن تحليل المضمون يصدر حكما على النص كاملا لمعرفة مكانه بين النقل والابداع.

(٢) مقالات ص ٤٠٧-٤١٣، فقد كملت بذلك معرفة ما أردنا ص ٤٠٨، وذلك ما أردنا معرفته ص ٤٠٨-٤١٠، فقد عرفناه، وذلك مرادنا ص ٤٠٩. خرج وتبين ان شاء الله ص ٤٠٩، وقد عرفناه وذلك ما أردنا ص ٤١٠/٤١٢، وذلك ما أردنا أن نعرف ص ٤١٠.

(٣) السابق ص ٤٢٥-٤٣٢، وذلك ما أردنا أن نبين ص ٤٢٦/٤٣١.

ب- **القبيصى.** ويبدو أن الابداع فى علم الحساب هو أكثر الابداعات الرياضية استقلالا عن الوافد اليونانى أو الهندى. ففى رسالة" **فى جميع انواع الأعداد" للقبيصى** (٣٢٥-٣٨٠هـ) الفلكى المشهور لا يظهر الوافد أو الموروث. بل يشار فحسب الى جميع القدماء أى الموروث التاريخى العلمى مع ضرورة تجاوز الحساب الهندى الى الحساب العربى. فالابداع ليس فقط لدى العلماء كأفراد بل لدى الشعوب كحضارات. ولا يحال الى الهند إلا لجبل سرنديب كنقطة إحالة لمعرفة قطر الأرض[١].

والحساب هنا ليس علما مستقلا بذاته بل هو أساس العلوم الرياضية كلها، الهندسة والفلك والموسيقى. لذلك يعتبره القبيصى مقدمة لعلم الفلك ومؤسسا له. والحساب نظام طبيعى لأنه نظام عقلى ونظرا للتماهى بين نظام العقل ونظام الطبيعة بل أيضا نظام الوحى[٢]. كما أن علم الحساب يجمع بين النظر والعمل. فالعنوان الكامل هو "أنواع الاعداد وطرائف من الأعمال". ويتحقق الحساب العملى فى بيوت الشطرنج. الرسالة تجميع من القدماء وإضافة من المحدثين، تعبر عن سمة التأليف فى هذا العصر، تمثل القدماء وتجاوز المحدثين. هى إبداع خالص لأنها تجاوزت الرافدين، وبنت الحساب اعتمادا على العقل الخالص. ويبدأ بالبسملة وينتهى بالحمدلة كالعادة والصلاة على رسوله محمد وآله أجمعين، وما بينهما دعاء للسلطان، مولانا سيف الدولة[٣].

جـ- **الكرخى.** وفى "**الكافى فى الحساب" لأبى بكر محمد بن الحسن الكرجى** (٤١٠/٤١٩/٤٢٩ هـ؟[٤]) تظهر نفس سمات الابداع الرياضى، القدرة على التجريد،

---

(١) القبيصى: فى جميع أنواع الاعداد . تحقيق وتقديم عادل أنبوبا، مجلة تاريخ العلوم العربية، معهد التراث العلمى العربى، جامعة حلب، سوريا، المجلد السادس العددان ٢/١ عام ١٩٨٢ ص ٨١-٩٤.

(٢) انظر دراستنا: الوحى والعقل والطبيعة، قراءة فى القانون فى الطب لابن سينا، مجلة الفلسفة والعصر، المجلس الأعلى للثقافة، العدد الأول، أكتوبر ١٩٩٩ ص ١٠٧-١٣٠.

(٣) لما كان مولانا سيف الدولة أطال الله بقاءه يعلو همته وفاضل قريحته يبحث عن كل أدب شريف وعلم لطيف، وكان العلم بصناعة الحساب من أحسن العلوم والنظر فيه من أدق النظر رأيته قد بلغ من الدربة الى أن يعمل بيده الغالية من الحساب مالا يقدر عليه جماعة من الحساب الموصوفين إلا بالهندى. فأحببت التقرب من خدمته بجميع ما يقع الى من محاسنه الشريفة ومعانيه اللطيفة. وكان قد وقع الى أبواب فى اختصار جميع أنواع الأعداد متفرقة فى مواقع شتى جمعتها فى هذه الرسالة، وأضفت اليها أبوابا استخرجتها ولم أقرأها لأحد تقدمنى، واتبعت ذلك بأضعاف بيوت الشطرنج، ورأيت من عظم هذا العدد ما يكبر فى نفوس كثير من الناس، وجعلته أحد عشر بابا، أنواع الاعداد ص ٨١.

(٤) أبو بكر محمد بن الحسن الكرجى: الكافى فى الحساب، درسه وحققه د. سامى شلهوب، معهد التراث العربى، جامعة حلب، سوريا ١٩٨٦ ص ٣٥-٢١٠.

والاعتماد على العقل الخالص، والموضوعية المتناهية في صياغة العناوين الفرعية ورسم الأشكال الهندسية والتخلص من الاشراقيات والفلسفات. لا يعتمد على الوافد أو الموروث. ومن ثم تغيب أسماء الاعلام والفرق غربا وشرقا. ولا يعتمد على أصل الموروث، الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فقد استقل العقل، وأصبح قادرا على التعامل مع الموضوعات اعتمادا على سلطته وحده. ومع ذلك تختفى الدلالة الدينية أو الفلسفية المباشرة. كما يختفى القصد والهدف والحركة والغائية لصالح البنية المجردة فى مرحلة اكتمال العلم أى نهايته[١]. ومع ذلك يتضح مسار الفكر من إحالة اللاحق الى السابق، والسابق الى اللاحق. كما تتم مخاطبة القارىء من أجل اشتراكه فى التأمل والتفكير والدعوة له بحسن الفهم .[٢]وبين البسملات الأولى والحمدلات الثانية ومدائح الله يتم الانتقال الى مدائح السلطان المؤيد المنصور فخر الملك الكامل ذى الجلالتين وزير الوزراء[٣].

د- الفارسى. وفى "تذكرة الأحباب فى بيات التحاب" لكمال الدين الفارسى (٦٦٥ -٧١٨هـ) [٤]. لا يذكر من الوافد إلا إقليدس مرة واحدة بداية بالمشهور ثم البرهان على البرهان والاستنتاج منه بمزيد من العمل العقلى حتى يصبح الموضوع مستقلا عن روافده. يستوفى الفارسى المقدمات ويؤسس المبادىء، ويبنى الموضوع بصرف النظر عن الروافد بالرغم من أهمية معرفة القدماء لمعرفة تطور العلم قبل ان تتكشف بنيته، وتتحدد موضوعاته[٥]. وبالرغم من صدارة أفعال القول، "قالوا.. أقول"، فذلك استرجاع للتراث الرياضى السابق من أجل مراجعته وتصحيحه وصبه فى بنية الموضوع. يعرض

---

(١) السابق ص ٥٧/٦٨/٧٦/١٢٧/٨٨.

(٢) السابق ص ٣٥/١٠١/١٠٥/١٦٨/٢٠٩-٢٠٠.

(٣) الرغبة الى الله تعالى فى إطالة بقاء مولانا السيد الأجل المؤيد المنصور فخر الملك الكامل ذى الجلالتين وزير الوزراء أبى غالب مولى أمير المؤمنين وحراسه وفضله على الأنام وأفضاله وإدامة نعمه، ونصرة دولته وأوليائه، وكبت حسدته وأعدائه ثم شكر إحسانه الشامل لأهل زمانه وانعامه العام فى نضارة أيامه. فلا زالت دولته عالية الفرع، راسية الأصل، غضة العود، طالعة السعود، ضافية الظلال، متصلة الأفضال، مشرقة الأيام، دائمة الانعام، بحول الله ذى الجلالة والاكرام، السابق ص ٣٥.

(٤) كمال الدين الفارسى: تذكرة الأحباب فى بيان التحاب، تحقيق وتقديم رشدى راشد، مجلة تاريخ العلوم العربية، معهد التراث العلمى العربى، جامعة حلب، سوريا ص ١٥-٥٢ "وها أنا ابتدى بذكر الطريقة المشهورة فى استخراجها ثم أشرع فى الاستدلال عليها واستنتاجها"، السابق ص ١٥.

(٥) تبين الطريقة التى سلكها القدماء فى استخراج الأعداد المتحابة بيانا عدديا شافيا وبرهانا كافيا غير مفتقر الى مقدمة لم تذكر ومبدأ لم يحرز للهم إلا بعض أشكال إقليدس التى هى أصول الصناعة فطاوعت حكمه وامتثلت رسمه عارفا بأنى قصير الباع عن التصرف فى المبادىء والمبانى قليل الاطلاع على الحقائق والمعانى. فان اصبت فمن ميامين تلك الاشارة وان طاشت سهام الافكار فقد قدمت الاعتذار والمأمول من مكارم الفضلاء الناظرين فيه أن يصلحوا ما فسد وينظموا ما تبدو من هذه المقالة ليكون سعيهم مشكورا وجزاؤهم موفورا، السابق ص ١٥.

الاشكال أولا ثم بعد ذلك يوضع البرهان القائم على الاتساق واستحالة الخلف والتناقض[1]. وبالاضافة الى البسملة فى البداية والحمدلة فى النهاية والصلاة على عبده ونبيه محمد الداعى بفصل الخطاب الهادى الى الرشاد والصواب الى يوم الحساب، والاستعانة بالله والتوكل عليه وكالعادة يتم الانتقال من مدح الله الى مدح السلطان[2].

هـ- المراكشى. وفى "**تلخيص أعمال الحساب" لابن البناء المراكشى(٦٥٤-٧٢١هـ)** يغيب الواقد والموروث وتحضر قسمة عقلية خالصة للحساب تقوم على العقل الخالص، تقوم على قسمة العدد الى معلوم ومجهول، والمعلوم الى عدد صحيح وكسور وجذور، والمجهول الى نسبة وكفات دون وضعهما فى قسمة مستقلة ثم جبر ومقابلة.[3]

و- المقدسى. وفى "**ملجأ الاضطراب فى الفرائض" لابن هائم المقدسى (٧٥٣-**

---

(١) السابق ص٣٥-٣٦/٤٠/٤٥/١٦/٢٤/٢٦-١٨-٢٣/٢٥-٢٦/٢٨/٣١/٣٨-٤١/٤٨-٥٢/٢٠-٢٤/٢٨/٣٥-٣٦.

(٢) وبعد فقد أشار الى من طاعته على فرض محتوم ورضاه عنى لى شرف مروم، أيده الله تعالى فى استكماله وارتقائه وضعنا من طول بقائه وطيب لقائه فى أثناء محاوراته اللطيفة ومباحثه الشريفة، السابق ص ١٥.

(٣) ابن البناء المراكشى: تلخيص أعمال الحساب، حققه وترجمه وعلق عليه د. محمد سويسى، منشورات الجامعة التونسية، تونس ١٩٦٩.

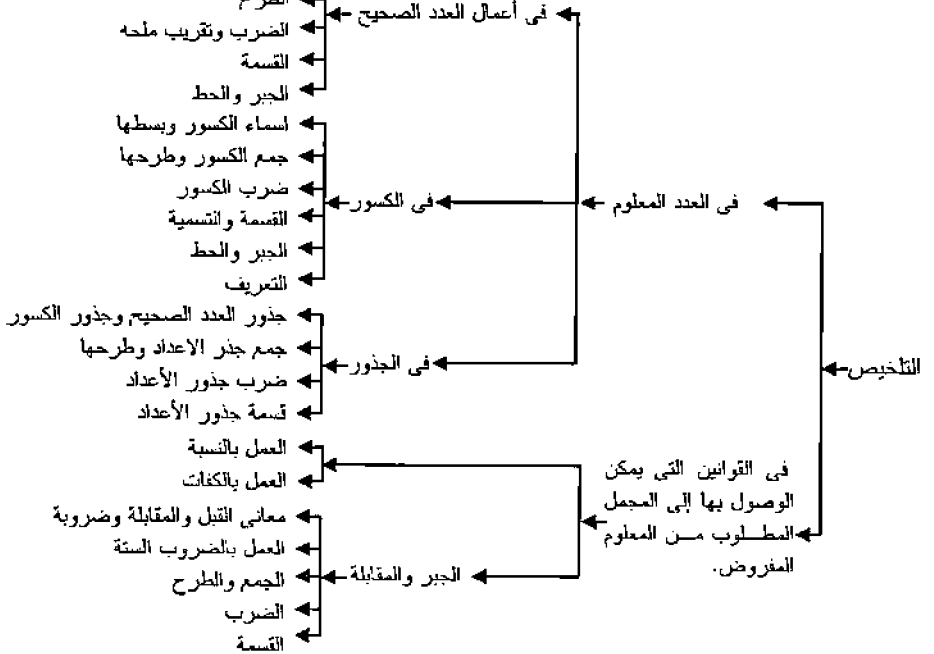

٨١٥هـ) يغيب الوافد بطبيعة الحال لأن الموضوع محلى خالص وهو كيفية قسمة الميراث الى النصف والثلث والسدس والثمن فى حالة الوفاة وكل احتمالات وجود الأب والأم والابن والابنة والأخ والأخت وهو موضوع غير يونانى، اعتمادا على آية الميراث[١]. ولا يشار إلا إلى استاذ المؤلف أبو الحسن الجلاوى اعترافا بفضله.[٢] ولما كانت بعض الحالات مجهولة ارتبط الحساب بالجبر. والميراث اصطلاحا هى قواعد الفقه والحساب التى يعرف بها المستحقون للتركة بنصيب كل مستحق. فالميراث علم رياضى، والفقه حساب. تجاوز التنظير الموروث الى الابداع الخالص. ولما كان لكل علم مصطلحاته فانه يتم شرح مصطلحات علم الحساب مثل الناسخات، والنسب بين الاعداد مثل التماثل والتداخل والتوافق والتباين. وتوضع جداول مسبقة لكل الاحتمالات اعتمادا على الجبر والمقابلة بعد توحيد المقام بين ١/٢ +١/٣ + ١/٦ + ١/٨. وبطبيعة الحال يبدأ المقال بالبسملة والصلاة على محمد وآله وصحبه وبالحمدلة والاستعانة بواهب العقل واستمداد الهداية منه.

وفى **"الحاوى فى الحساب"** له أيضا مجرد تلخيص لابن البناء دون دلالة أو قصد وكأن الاعتماد على العقل الخالص دون الرافدين، الوافد والموروث، ينتهى أيضا الى صورية فارغة تجد مادتها فى العواطف الدينية التى تبدو فى البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على خير الأنبياء وآله وصحبه والسادة الفضلة مع تواضع جم واعتذار عن النقص. فالكمال لله وحده[٣].

ز- **القلصاوى.** وفى **"كشف الأسرار عن علم حروف الغبار"** للقلصاوى (٨١٥/ ٨٠٣-٨٩١هـ) يستمر الدافع على الابداع الخالص فى الحساب هو إيجاد نسق عقلى للمواريث يضبط الاحتمالات الفقهية كلها مادام نسق العقل متماهيا مع نسق الوحى مع نسق الطبيعة أى نسق القرابة والفطرة[٤]. فالابداع العقلى الخالص تتويج للوحى العقلى.

---

(١) ابن الهيثم المقدسى: ملجأ الاضطراب فى الفرائض، تحقيق خضير عباس محمد المنشداوى، نجلاء قاسم عباس الربيعى، مركز إحياء التراث العلمى العربى، جامعة بغداد، بغداد ١٩٨٩ ص ١٧/١٣.

(٢) بعض الاحتمالات كالآتى: الأب ١/٦ + الأم ٦ + ١/البنت ١/٢ + بنت الابن ١/٦ = ٦ الاب ١/٦ + الام ١/٦ + ١٠ بنات ٢/٣ = ٦. الزوج ١/٤ + الاب ١/٦ + الام ١/٦ + ست بنات ١/٢ = ٢٤/٢٦ .. لا يجوز.

(٣) ابن الهائم المقدسى: الحاوى فى الحساب، تحقيق رشيد عبد الرازق الصالحى، خضير عباس محمد المنشداوى، مركز إحياء التراث العلمى العربى، جامعة بغداد، بغداد. (د.ت)

ان نجد عيبا فسد الخلا ∴ جل من لاقيه عيب وعلا، السابق ص ٤٩.

(٤) القلصاوى: كشف الأسرار عن علم حروف الغبار، تحقيق د. محمد سويسى، المؤسسة الوطنية =

ويغيب الواقد بطبيعة الحال نظرا لأن الموضوع شرعى ولكن يغيب أيضا الموروث نظرا لأنه فقهى، وعلم الحساب علم عقلى خالص يستند اليه فقه المواريث ولا يستند هو على فقه المواريث. الحساب هو الأصل والمواريث الفرع. ويظل السؤال قائما عن معنى "الغبار" وعلى أى شىء يدل رمز الغبار؟ هل يدل على الطبيعة والحالات الفقهية المتناثرة كالغبار والتى فى حاجة إلى قانون حسابى؟ لذلك من شرط فقيه المواريث أن يكون عالما بالحساب، بل أن يكون هو العالم بالمنطق، آله العلوم، والرحلات والسياحة فى العالم لمعرفة التوازن كما هو واضح من مؤلفات القلصاوى. وهو ملخص وجيز فى الحساب والجبر للمبتدئين، مملوء بالامثلة الرياضية للتوضيح دون الامثلة الدينية. الغاية منه تطبيق أعمال الكسور على مسائل الفرائض وقسمة المواريث مثل وفاة امرأة عن زوج وشقيقين فيكون للزوج النصف ولكل من الشقيقين الثلث فتتجاوز القسمة الواحد الصحيح. هنا يعاد قسمة الميراث بما يتفق مع النقل، ويتم التقسيم سباعيا فيكون للزوج ثلاثة ولكل من الشقيقين سبعان[1]. فالنصف فى المواريث لا يكون حسابيا إلا اذا كانت القسمة زوجية أما اذا كانت فردية فيكون النصف تقريبيا مثل الثلاثة أسباع. وقد تطلب ذلك بناء علم الحساب ووضع قسمة رباعية له: العدد الصحيح الذى يقبل الجمع والطرح والضرب والقسمة، والكسور، والجذور، واستخراج المجهول. والغاية من العلم النجاة فى الآخرة. وبعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على محمد سيد الثقلين، وسؤال الله الاعانة والارشاد والتوفيق والسداد فى الدنيا والمعاد يأخذ الله صفات الحساب مثل سريع الحساب ثم مكان النسخ، القاهرة المحروسة، زاوية ابن أبى الوفاء وتاريخه الهجرى.

ح- العاملى. وفى "**الخلاصة فى علم الحساب والجبر والمقابلة "لبهاء الدين العاملى (٩٥٣-١٠٣١هـ)** كان الباعث على الابداع الخالص هو أيضا تحديد جهة القبلة. لذلك شمل الحساب كثيرا من العلوم الرياضية الأخرى مثل الهندسة والجبر والمقابلة والمساحة[2]. وكان علماء الرياضة هم علماء الدين. والذين أبدعوا فى العلوم العقلية أبدعوا أيضا فى العلوم النقلية. وربما أبدع الشيعة أكثر من السنة فى العصور المتأخرة نظرا لرغبة المضطهدين فى السيطرة على العالم، وتحول الفلسفة من المغرب بعد ابن رشد إلى المشرق حتى صدر الدين الشيرازى وأئمة الشيعة المجتهدين حتى اليوم

= للترجمة والتحقيق والدراسات، الدار العربية للكتاب، بيت الحكمة ، قرطاج ، ١٩٨٨.

(١) الزوج ١/٢+ الشقيقان ٢/٣=٦/٧. خطأ، الزوج ٣/٧+ الشقيق الأول ٢/٧+ الشقيق الثانى٢/٧ = ٢/٧. صواب.

(٢) بهاء الدين العاملى: الأعمال الرياضية، تحقيق وشرح وتحليل د. جلال شوقى، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، دار الشروق، القاهرة ١٩٨١ ص ٣٢-١٧٩.

بعد أن انحسرت العلوم الرياضية والطبيعية عن علماء الأزهر والزيتونة والقرويين. وربما كانت وحدة الوجود التى عمت التصوف المتأخر أحد أسباب ازدهار العلوم الرياضية. فلا فرق بين الروح والكون، بين العقل والوجود، ويتفاوت الابداع الخالص فى الرياضيات بين بنية العلم النظرى طبقا لطبيعة الذهن والموضوع وبين تجميع مادته فى فصول وأبواب. وهو أقل إحكاما من بنية العقل[1] . وكان بالامكان التحول من التجميع والحفظ إلى بنية العقل حتى ولو كان صوريا فارغا الا أن الرغبة فى التدوين بالذاكرة كانت أقوى فى العصور المتأخرة، عصر الشروح والملخصات. وما أسهل تحويل القواعد إلى نسق كلى شامل للعلم، مثل ملحق الرسالة عن قاعدة فى بيان قسمة الغرماء. يتحول الوافد والموروث إلى مجرد تاريخ، المتقدمون والمتأخرون فلا بنية بلا تاريخ، ولا إبداع بلا نقل[2]. ويحال إلى باقى الأعمال مثل "بحر الحساب" لمزيد من البراهين.

وتشمل الأعمال الرياضية قسما ثانيا "**مسائل الحساب والجبر والمساحة الواردة فى كتاب "الكشكول"** له أيضا. ومازال فيها بقايا الحساب العددى القديم والربط بين صفات آدم وحواء وخواص الأعداد كما خلقت حواء من الضلع الأيسر لآدم، العدد ٩ بمنزلة آدم، والعدد ٥ بمنزلة حواء، والحرفان طه إشارة إلى آدم وحواء معا. فالابداع

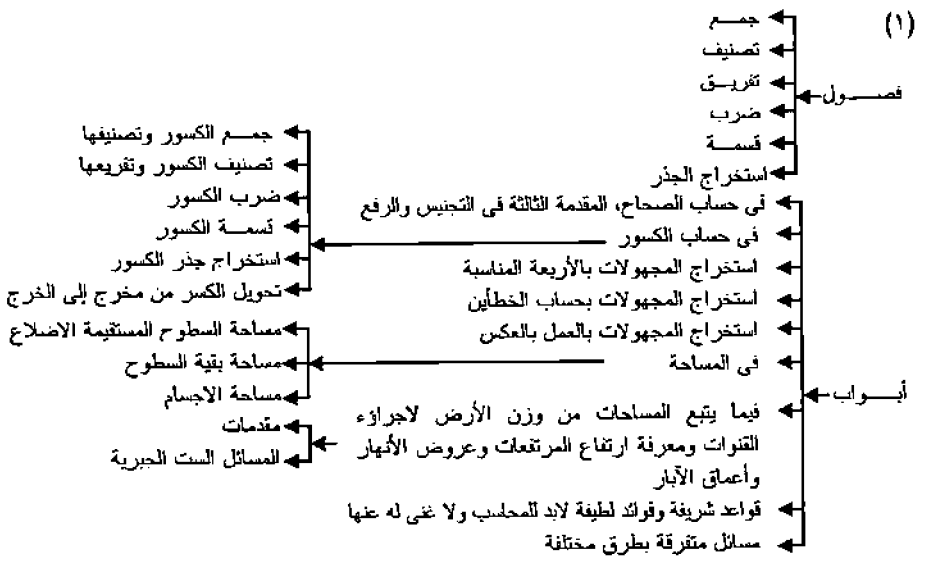

(٢) السابق ص ٣٢-٣٤/١٠٠-١٥٩.

الرياضى لم يخل من بقايا حساب الجمل والحروف[1] . ومع البسملة والحمدلة فى البداية والنهاية تستعمل الصفات الرياضية لله مما يدل على أن لغة مخاطبة الله هى لغة إنسانية مستقاة من العلوم الانسانية وأن العلوم الالهية علوم إنسانية مقلوبة. فالنعم الالهية لا تحيط بها الأعداد أو تضاعيف القسمة، ومن الأئمة أربعة متناسبة، والدعوة إلى النطق بالصواب يوم الحساب[2].

ط- الطوسى. واذا كان الجبر هو حلقة الصلة بين الحساب والهندسة فان مؤلفات **شرف الدين الطوسى** (النصف الثانى من القرن الثانى من القرن السادس) تمثل نموذجا للابداع الخالص فى الجبر فى رسالتين عن "**المعادلات**" ورسالة "**فى الخطين اللذين يقربان ولا يلتقيان**" ورسالة "**فى عمل مسألة هندسية**" [3] . يغيب فيها الوافد والموروث من حيث الشكل الأدبى، بصرف النظر عن الابداع فى المضمون. ورسالتا المعادلات، تلخيص قام به شخص آخر لاستبعاد التطويل وإسقاط الجداول الحسابية لبعدها عن الطبع واستدعاء طول الزمان الموجب للملل جمع بين العمل والبرهان. فالملخص كان يشعر بصورية الرياضيات وتعقيدها وطولها. ومن هنا أتت ضرورة تلخيصها[4].

وتظهر أفعال القول فى ضمير المتكلم المفرد "أقول" [5] . فالطوسى هو الذى يدرس ولا يروى أقوال السابقين. كما أنه يقوم بالبرهان الذى تدل عليه أفعال البيان وتكرار عبارة "وذلك ما أردنا بيانه". والفكر البرهانى يقوم على الاتساق، واستحالة التناقض. لذلك يكثر برهان الخلف.

---

(١) طبعة مصر ٢-١٣ الموافق ١٨٨٤م، المطبعة المعاصرة الشرقية، مطبعة الشيخ شرف موسى نجان ابو طاقية، مصر ص ١٨١-٢٢٤/١٨١/١٨٧.

(٢) "غورك يا من لا يحيط بجميع نعمه عدد ولا ينتهى تضاعف قسمة إلى أحد، ونصلى على سيدنا محمد النبى المجتبى وعترته لا سيما الأربعة المتناسبة أصحاب العباد"، السابق ص ٣٢.

(٣) شرف الدين الطوسى: مؤلفات ، تحقيق وتقديم د. رشدى راشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٨ والتاريخ فيها بالميلادى.

(٤) تحويل كلامه من إفراط التطويل إلى حد الاعتدال، واسقطت الجداول التى رسمها فى عمل الحساب واستنباط المسائل ليعده عن الطبع واستدعائه طول الزمان الموجب للملال، وتثبيت كيفية استخراج المسائل بالتخت، وجمعت بين العمل والبرهان"، السابق ص ٤٣٥.

(٥) أقول، السابق ص ٤٣٧/٤٤٠-٤٤١/٤٤٣/٥٥٥/٥٦٢/٥٦٤/٥٧١/٦٠٤/٦١٦/٦٢٥/٦٤١-٦٤٢/٦٦٦ - ٦٦٧/٦٨٦/٦٩٢، فقد تبين أن ص ٥٠٥/٥٢٨/٥٧٥/٥٨٠/٥٩١/٦٠٢/٦١٧، وتكون المسألة مستحيلة ص ٥٥٣.

وتقوم المسائل الرياضية بعضها فوق بعض. فالرياضة نسق برهانى وتترتب المقدمات من أجل الانتهاء إلى نتائج والانتهاء إلى المطلوب الأعظم أو الأصغر. ويحيل السابق إلى اللاحق، واللاحق إلى السابق. وتتم مخاطبة القارىء بالرغم من الموضوع النظرى والأسلوب التجريدى[1].

وتبدأ بالبسملة وتنتهى بالحمدلة والاستعانة بالله وحسن توفيقه وهو نعم المعين[2]. والله أعلم بالصواب، واليه المرجع والمآب، وهو العزيز الوهاب. وكما تبين المقدمة نوع الخطاب الرياضى، طوله وتجريده، تعيد الخاتمة نفس المعنى. قد تقع بعض الأخطاء فى الحسابات والبراهين لكثرة المقدمات واختلاط الهندسة بالحساب. والدربة والارتياض قادران على الأمان من الخطأ. وتطويل المقدمات ضرورة فى البراهين الرياضية ولا مندوحة من ذلك. ثم يتم الانتقال من مدح الله إلى مدح السلطان حتى فى الخطاب الرياضى لأنه نمط ثقافى عام[3].

٢- **الهندسة.** ولما كانت الهندسة تطبيقا للحساب على المساحة المتصلة حدث إبداع هندسى أيضا سواء فى الهندسة النظرية أم الهندسة التطبيقية.

---

(١) وذلك ما أردنا بيانه ص ٤٣٨/٤٤٤/٤٥٣/٤٧٠-٤٧١/٤٧٩/٤٨٢/٤٩٠/٥٠٤/٥٠٨/٥١٩/ ٥٢١/ ٥٣٠/٥٣٢/٥٣٩/٥٤٤/٥٤٩/٥٨٦/٦٠٠/٦٢٢/٦٧٩، وذلك ما أردناه ص ٤٤٨، ولا يقع فيه المستحيل ص ٥٤٩، هذا خلف ص ٢٤٣، فيلزم الخلف ص ٥٣٨، فهو المطلوب ص ٤٥٤/٤٥٧/ ٥٨٢/٦٣٩/٦٤٧/٦٩٦، وهو الجزء المطلوب ص ٤٦٠/٤٦٤/٤٧٦/٤٨٤/٤٩٢/٥٠٤/ ٥٢٣/٥٢٥/ ٥٢٧/٥٤٧/٥٦٦-٥٦٧، فيرجع أيضا إلى مسألة ص ٤٥٣-٤٥٤/٤٧١، فترجع المسألة إلى المسألة ص ٤٦٩، وبقية البيان ما مر ص ٤٦٣/٤٧٩/٤٨٨-٤٨٩/٤٩٨/٥٠١/٥٠٣، ونعمل العمل السابق ص ٤٧٧، وهو مطلوبنا فى هذه المسألة ص ٦١٠/٦٤٤، وإعمال سائر المطالب على هذا القياس ص٤٩٧، واعلم أن ص ٦١٥/٦١٨/٦١٨، فى فحاصل الكلام فى هذه المسألة ص ٦٢١/٦٢٨.

(٢) السابق ص ٤٣٥/٦٨٠/٦٨٨/٦٩١.

(٣) والمأمول من كرم المخدوم والمنعم أدام الله علوه أن ينعم بالنظر والتأمل فى هذا الشكل ويصفح عن السهو القليل إن وقع فى بعض حساباته الجزئية فقط. وإن عثر على خطأ فى بعض براهينه فينبهنا عليه مفيدا ادعاءه. فقد عمى علينا لكثرة المقدمات واختلاط الهندسية فيها بالحساب. ولا ينكر كثرة التطويل فى مقدماتها فان الوصول إلى المطلوب البرهانى بكثرة المقدمات وبالمتوسطة مع العصمة من الغلط ان كانت يكون إليه بالدربة والارتياض، وأدل على أن الاصابة فى المعقولات يكثر بالضرورة مقدمات براهينها ومتوسطاتها. وأعظم فوائد العلوم الرياضية إنما هو ذلك. ولقد تميزت عن التطويل فى مقدمات براهين هذا الشكل مع كونها حقا ضرورية فى إفادة النتيجة المطلوبة. ثم إن اشار المخدم المنعم فسأعرض سائر الطرق على رأيه الناقد العالى إن شاء الله تعالى والسلام"، السابق ص ٦٩٧.

أ- الكندى. ولما كان إبداع الكندى مبكرا فقد تمثل إبداعه فى الهندسة فى رسالته "فى عمل الساعات" تطبيقا للحساب على المسطحات كما هو الحال فى الهندسة مصاحبة ببعض الأشكال الهندسية والرسومات التوضيحية[1]. وهى إجابة على سؤال "رسم كيفية صنعة آلة تدرك بها الساعات سطحها مواز لسطح الأفق بالخطوط خبر من غير برهان". فالسؤال طلب للبرهان والا يكون العلم مجرد خبر. ومن شروط البرهان السهولة حتى يدركه الجميع وليس فقط المرتاضون المدربون على الصناعة وعلى الرياضيات. وهى أقرب إلى الساعة الشمسية التى تتطلب علوم الفلك والحساب والهندسة. وتعتمد على العقل الخالص دون احالة إلى وافد أو اعتماد على موروث. وقد يبدو الموروث فى اللاوعى المعرفى فى وظيفة الأهلة فى معرفة المواقيت[2] . ثم يتحول النظر إلى عمل والهندسة إلى ميكانيكا فى "كيفية نصب الآله". ولا ضير ان تبدأ الرسالة بالايمانيات وتنتهى[3] .

ب- البوزجانى: ففى "ما يحتاج اليه الصانع من علم الهندسة" للبوزجانى (٣٢٨ -٣٨٨هـ) ترتبط الهندسة النظرية بالهندسة العملية، والعلم النظرى بتطبيقاته العملية دون اللجوء إلى الانشائيات والمواعظ الدينية[4]. اذ يغيب الموروث على الاطلاق كما يغيب الوافد. فالعلم ينشأ فى الذهن ويطبق فى الواقع نظرا لاتحاد نظام العقل ونظام الطبيعة. ومع أن الأسلوب هو قيل وقال وكثرة أفعال القول إلا أن الأقوال غير منسوبة إلى أصحابها. فما يهم هو المتن لا السند، العلم لا العالم. ونظرا للتركيز الشديد والعرض المجرد تعطى العديد من الأمثلة التوضيحية. ونظرا لارتباط النظر بالعمل تبدأ الرسالة بشرح الآلات الهندسية وكيفية عملها قبل الدخول فى النظريات الهندسية[5].

---

(١) الكندى : رسالة فى عمل الساعات، رسالة خطية فى مكتبة بودليان نشرها زكريا يوسف بالفوستات عام ١٩٦٢ وعنوانها فى الفهرست "كتاب رسالته فى عمل الساعات على صفيحة تنصب على السطح الموازى للأفق جبر من غير برهان. وهو نفس العنوان تقريبا عند القفطى وابن ابى أصيبعة.

(٢) مثل آية ﴿ويسألونك عن الأهلة، قل هى مواقيت للناس والحج﴾.

(٣) البداية "أفهمك الله جميع الخفيات، وأسعدك بنيل الحقيات". والنهاية "كفاك الله مهمات الأمور ووقاك كل محذور"، ومن الناسخ "والحمد لله رب العالمين كثيرا دائما فهو له أهل"، ص ١٩٦-٢٠٥.

(٤) أبو الوفا محمد بن محمد البوزجانى: ما يحتاج اليه الصانع من علم الهندسة، حققه وقدم له د. صالح أحمد العلى، مركز احياء التراث العربى، جامعة بغداد، بغداد ١٩٧٩.

(٥) تتضمن الرسالة ثلاثة عشرة فصلا: ١- فى المسطرة والبركار والكوينا ٢- فى الأصول التى ينبغى أن يقدم ذكرها ٣- فى عمل الأشكال المتساوية الأضلاع ٤- فى عمل الأشكال فى الدوائر ٥- فى عمل الدائرة على الأشكال ٦- فى عمل الدائرة فى الأشكال ٧- فى عمل الأشكال بعضها فى بعض ٨- فى قسمة المثلثات ٩- فى قسمة المربعات ١٠- فى عمل مربعات من مربعات وعكسها المختلفين ١١- فى=

جـ- العلاء بن سهل. وفى **"خواص القطوع الثلاثة" للعلاء ابن سهل (القرن الرابع)** يغيب الوافد والموروث اعتمادا على العقل الخالص[1]. وتدل أفعال القول على استعمال "أقول" أى أن ابن سهل هو الذى يدرس ويحلل ويبرهن. كما يكثر استعمال لفظ البرهان فى صيغة "برهانه" أو "برهان ذلك"[2] . والخطاب تجريدى خالص تتخلله الرسومات التوضيحية.

د- تقى الدين. ومن مظاهر الهندسة التطبيقية الهندسة الميكانيكية والآلات الحربية مثل المناجنيق، والفروسية خاصة رمى الرمح . ففى كتاب **"الطرق السنية فى الآلات الروحانية" لتقى الدين (٩٢٧/٩٣٢/٩٩٣هـ)** تسمى الهندسة الميكانيكية الآلات الروحانية أى أن عمل الآلة لا ينفصل عن عمل الروح"[3] . فالروح ترتاح فقط إلى غرائب بل قدرة العقل البشرى على أن يخترع آلة تسير بذاتها وكأن روحا أى طاقة ذاتية فيها مثل عمل الروح فى البدن فالرؤية للوحى وللطبيعة رؤية عقلية واحدة. الهندسة الميكانيكية اذن هو علم الهندسة بالاضافة إلى الحيل أى تطبيق الهندسة فى آلات متحركة تولد طاقة يمكن استخدامها فى الحياة العملية. وتقى الدين مهندس ميكانيكى، ورياضى، وفلكى، وفيزيائى، وشاعر. وهو الذى بنى مرصد استانبول. وتقوم الهندسة الميكانيكية على فكرة فلسفية معروفة فى الكلام والفلسفة وهى ضرورة عدم الخلاء لأن الله فى كل مكان. لذلك لا يخلو العلم من ألفاظ الكلام مثل "كأس العدل والجور". ولا يوجد وافد ولا موروث. والنص عقلى عملى مجرد خالص. بل ولا يظهر الباعث الدينى كما هو الحال فى سمت القبلة أو تحديد أوقات الصلاة. انما الهدف تطبيق العلم النظرى فى الحياة العملية. ويعترف تقى الدين أنه اعتمد على كتب سابقة متعددة، وسمع مشايخ وعلماء شفاها، ثم اجتهد واستنبط وقدح ذهنه"[4] .

- قسمة الأشكال المختلفة الأضلاع ١٢- فى الدوائر المتماسة ١٣- فى قسمة الأشكال على الكرة.

(١) ابن سهل : فى ضواحى القطوع الثلاثة، علم الهندسة والمناظر فى القرن الرابع الهجرى (ابن سهل، القوهى، ابن الهيثم) د. رشدى راشد، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩٦ ص ٢٤٣-٢٥٠.

(٢) أقول ص ٢٤٤/٢٤٥/٢٤٨-٢٤٩، برهانه ص ٢٤٣-٢٤٦/٢٤٩-٢٥٠، برهان ذلك ص ٢٤٨.

(٣) تقى الدين: الطرق السنية فى الآلات الروحانية، تحقيق وتقديم د. أحمد يوسف الحسن، معهد التراث العلمى العربى، جامعة حلب، ١٩٨٧. وقد نشر المخطوط تصويرا وليس طباعة.

(٤) مما التقطته من كتب متعددة، وما استفدته من مشايخ، وما ولدته بفكرى، وافترضته بذهنى الجامد". ويقول فى مقدمة "الكواكب الدرية" وهاتان الساعات، مائية ورملية، وآلات جر الاثقال بالدواليب (الونش) والحلزون)، كانت من مخترعات اليونان ومما اعتنوا بالتأليف فيه فى سالف الازمان الا أن مؤلفاته اندرست لأن نتيجة العلم العمل وبه تتوافر الدواعى على صونه عن طروق الخلل"، السابق ص ٣٥.

ويتضمن أربعة أبواب: البنكامات أى الساعات، وآلات جر الاثقال، وحيل اخراج الماء إلى جهة العلو (الأشكال والأوضاع)، وعمل الزمر الدائم والتقاءات وغير ذلك من القوارات المختلفة أى علم الموسيقى وآلات النفخ. ولا حرج فى الكلام عن "سرير العاشق" وكيف أنه أيضا مجال لتطبيق الهندسة الميكانيكية لتحقيق اهتزازات معينة للسرير أثناء الجماع. وتشمل الهندسة اثنا عشر علما تطبيقيا: عقود الأبنية، المناظر، المرايا المحرقة، مراكز الانتقال، المساحة، أنباط المياه، جر الاثقال، الآلات الحربية (الرمى) الملاحة (اليامة)، البكامات، الأوزان والموازين، الآلات الروحانية. وبعد البسملة والحمدلة يتحول الثناء على الله إلى الثناء على السلطان. وتلحق أشعار بالزهد فى الدنيا والبعد عن الناس[1].

هـ- الزردكاشى. وفى "الأنيق فى المناجنيق" لابن أرنبغا الزردكاشى (٨٦٧هـ) يتضح من اللفظ "جه نيك" الأصل الفارسى"[2] . ومع ذلك فالنص إبداع خالص لا يشير إلى وافد أو موروث. يدل على ارتباط الهندسة بالحساب. فيه أدوات قياس المسافة بالاضافة إلى هيكل المنجنيق (الميكانيكا). وهو نوعان "افرنجى" أى وافد و"سلطانى" أى موروث. ويتضمن قسمين: الأول المنجانيق والرماية عليها، والثانى عبارات النقط وسقايات السيوف. والعرض موضوعى علمى مجرد، تضاف اليه الصور والأشكال لضرب الأمثال. وبعد البسملة والحمدلة تظهر صفات الله مشتقة من العلم، فالله مدبر الوجود، ومؤيد الجنود، الواحد القهار، العزيز الجبار، ذو الرأس الشديد، الفعال لما يريد. وصفات الرسول أيضا مشتقة من صفات الحرب، محمد الذى بعثه الله وجيش الكفر منشور بالعصايب، وعشقه محلولك الغياهب، فشمر عن ساق الاجتهاد، وجاهد فى الله حق جهاد حتى اشرق بدر الاسلام، وانجلت غياهب الظلام، وسطعت أنوار الايمان.

---

(١) الدعوة لصاحب العصر والأوان ودستور صاحب القرآن، ناشر العدل والأمان، كاسر جناح الجور والطغيان، ذى الشمم الملكية، والهمم الفلكية، والصفات الطاهرة العلية، والسمات الظاهرة المرجية، والثناء العاطر الأصلى، والسناء الباهر الأجلى. تعاظم قدرك العالى فأنت الوزير الأفخم الباشا العلى، نطاق السعد حولك مستدير وحزب الله حزبك يا على. ثم يأتى الشعر:

اذا احببت أن تبقى ∴ وصون الجاه والقدر
وأن تأمن ما فى ∴ الناس من مكر ومن غدر
فلا تحرص على مال ∴ ولا تطمح إلى بدر
واكثر قول لا أدرى ∴ وان كنت امرؤ تدرى، السابق ص ٣.

(٢) ابن ارنبغا الزردكاشى: الأنيق فى المناجنيق، دراسة وتحقيق د. إحسان هندى، معهد التراث العلمى العربى، جامعة حلب ١٩٨٥.

والمشيئة لله والله أعلم[1]". ثم يتم التحول من مدح الله إلى مدح السلطان[2].

و- الأحدب. وفى "الفروسية والمناصب الحربية" لنجم الدين حسن الرماح المعروف بالأحدب (٦٣٦-٦٩٥هـ) ينتقل علم الهندسة إلى العلوم الحربية التقليدية مثل رمى الرمح الذى يقتدى تقدير المسافات والارتفاع والزوايا وقوة الدفع. يغيب الوافد والموروث. وتظهر الدوافع العملية وراء الابداع النظرى فى عصر الجهاد، الدفاع عن الدولة العثمانية وفتوحاتها. ولقد بلغ حد الابداع أن سمى صاحبه "الرماح". ويستفاد منه فى تكوين المفرقعات التى تخضع لنفس القوانين الهندسية. وتضاف الرسوم التوضيحية للاقلال من طابع الخطاب النظرى التجريدى الخالص مع بعض النصائح التى يعرفها الأعداء أيضا مع إضافة بعض الأشعار فى النهاية عودا إلى تراث العرب القديم. وتزدهر الايمانيات وتكثر العبارات الدينية فى النهاية تعويضا عن هذا التجريد الأول. فتذكر آيات قرآنية ثلاث بعد البسملة والحمدلة تشير إلى الجهاد فى سبيل الله والشهادة والعلم[3]. ويتم تأصيل هذه الصناعة حتى الرسول والصحابة والتابعين، صناعة الجهاد والفتح. وصناعة الفروسية تتطلب قبلها أخلاق الفروسية. فالصنعة ليست فقط مهارة بل سلوك. وتكثر العبارات الايمانية التى تكشف عن تزاوج الأشعرية والتصوف فى هذا العصر المتأخر مثل الصبر، والاستعانة بالله، والاعتماد على مشيئته وإذنه، والايمان بقدرته. والله هو المعين لا حول ولا قوة إلا به، ولا توفيق إلا منه، وهو أعلم بكل شيء"[4].

ز- نصير الدين الطوسى(٦٧٢هـ). وهناك نوع أدبى جديد وضعه الطوسى وهو

---

(١) السابق ص ٩-١٠/٣٩-٤١/٢٢٥/٢٣٠/٢٢٦/٢٢٨/٢٣٠.

(٢) فلما كان من سمت همته العلية هامة السماك، وأزهرت نجوم سعوده فى درر الأفلاك، وتسهلت بتدبيره السعيد صاحب المسالك، وانجلى بنور رأيه السديد كل حالك، ذو البأس والتدبر والاتقان الحكم والتحرير المتحلى بكل حلية جميلة، الحايز قصب السبق فى كل فضيلة، الواحد فى زمانه، الفريد فى أوانه، أتابك العساكر الاسلامية، مؤيد الملة المحمدية، هى المقر الأشرف فى السيفى شمس العلا متكلما بفا الشمس، لا زالت الأقدار قاضية بهلاك أعدائه متكفلة باسعاد أحبائه وأودا يه ممن أخذ من كل فن بأوفر نصيب، وأضحى بكل بعيد المتناول وهو منه قريب، وجمع بين فضيلتى الحكم والحكم والسيف والقلم، وأريت أعظم مساعيه وأكثر دواعيه إلى إمعان النظر فيما يحفظ نظام الممالك... السابق ص ٤٠.

(٣) هى ﴿جاهدون فى سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾، ﴿ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾، ﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾، السابق ص ٢٦-٢٧.

(٤) السابق ص٣٠-٣٢/٤٤/٤٧/٥٣/٥٧/٦٣/٧٣/٧٥/٨٦/٨٨/١٠١/١١٥/١٣٢-١٣٣/١٣٧/١٤٢/١٤٤/١٤٨/١٥٠.

"التحرير" أى إعادة الكتابة للنص شاملا تمثل الوافد وتنظير الموروث معا. فهو تمثل للوافد لأنه إصلاح للعبارة المترجمة والانتقال بالترجمة من مستوى النقل إلى مستوى العقل، وهو فى نفس الوقت تنظير للموروث لأن الباعث عليه سؤال من الداخل لمزيد من الايضاح واعتمادا على الشروح الموروثة السابقة وتجاوزهما معا إلى الابداع الخالص. وهو فى نفس الوقت إبداع خالص لأنه لا يحيل فى النص إلى وافد أو موروث بالرغم من أن العنوان يضم أسماء الوافد مثل أرشميدس أرسطخرس، أوطولوقوس، أيسقلاوس، مانالاوس أو الموروث مثل بنى موسى، ثابت بن قرة الحرانى، الصابئى[1] .

مثال ذلك **كتاب "مأخوذات لأرشميدس"** ترجمة ثابت بن قرة وتفسير الأستاذ المختص أبى الحسن على بن أحمد النسوى. وهى مقالة منسوبة لأرشميدس. يحال فيها إلى الموروث الشارح مثل "تزكية كتاب أرشميدس فى المأخوذات" لأبى سهيل القوهى، ولكن الطوسى يتجاوز الوافد والموروث إلى بنية العقل الخالص. ويضع تقابلا بين "قال الاستاذ" و"أقول" ثم يلجأ إلى البرهان "برهانه".

وفى **"كتاب الكرة والاسطوانة لأرشميدس"** يعنى تحرير الطوسى إعادة كتابة النص المترجم بطريقة التأليف وعلى مستوى عال من التجريد مع الاتجاه نحو الموضوع العلمى مباشرة بلا إضافات والعودة إلى النص الأصلى. التحرير إصلاح للترجمة وإضافة ما نقص منها، وإصلاح النسخ على عكس ترجمة اسحق بن حنين الجيد، ويعتمد التحرير على الشراح السابقين يونان مثل أوطوقيوس أو مسلمين مثل العسقلانى. ثم ينتقل التحرير من الشكل إلى المضمون، ومن النص الموضوع باعادة ترتيب أصوله حتى يكون الموضوع أكثر اتساقا مع المنطق ثم التحقق منه وإكمال ما نقص فيه من براهين. التحرير اذن اعادة ترتيب الأصول، وتلخيص المعانى، وبيان المصادرات، وشرح ما أشكل على الشراح، والتمييز بين النص والشرح، واثبات الموضوع طبقا لرواياته المختلفة والحاق نصوص أخرى مثل مقالة لأرشميدس لأنها مفيدة فى بيان بعض المصادرات[2] .

---

(١) الوافد مثل: كتاب مأخوذات لأرشميدس، تحرير العلامة نصير الدين الطوسى ص ٢-١٧. قال الاستاذ (٥)، أقول (٣)، برهانه (٤).

(٢) "النسخة التى أصلحها ثابت بن قرة وهى التى سقط عنها بعض المصادرات لقصور فهم ناقله إلى العربية عن ادراكه وعجزه بسبب ذلك النقل، فطالعها. وكان الدفتر سقيما لجهل ناسخه فسددته بقدر الامكان، وجهدت فى تحقيق المسائل المذكورة فيه إلى أن انتهيت إلى المقالة الثانية وعثرت على ما أهمله أرشميدس من المقدمات مع بناء بعض مطلبه عليه فتحيرت فيه، وزاد حرصى على تحصيله فظفرت بدفتر عتيق فيه شرح أوطوقيوس للعسقلانى لمشكلات هذا الكتاب الذى نقله اسحق بن حنين =

وفى كتاب "**فى جرمى النيرين وبعديهما لارسطوخس**" يكتفى الطوسى بشرح اشتقاق اسم العلم أرسطوخس وأصله أرسطو ومعناه الصالح وأرخس ومعناه الرأس. وبعد التركيب أسقطت الألف والواو تخفيفا. فالابداع هنا إيضاح حتى يصبح النص مفهوما حتى فى اشتقاق أسماء الأعلام[١] .

وقد يقتصر التحرير على مجرد إصلاح الترجمة القديمة مما يجعل التحرير أحيانا يبدو وكأنه مرحلة بعد الترجمة مباشرة وقبل التعليق لولا أنه عرض نظرى خالص لا يعتمد إلا على طبيعة العقل وحده مما يجعله أيضا أقرب إلى الابداع الخالص. مثال ذلك "**كتاب الطلوع والغروب لاوطولوقس**" الذى يهدف التحرير فيه فقط إلى إصلاح ترجمة ثابت[٢] .

وكذلك "**كتاب فى المطالع لايسقلاوس**" يعنى التحرير فيه مراجعة ما أصلح الكندى من نقل قسطابن لوقا البعلبكى. فالنقل إذن ما هو إلا أولى المراحل نحو الابداع الخالص. والتحرير مراجعة النقل والاصلاح والشرح حتى يتجاوز العبارة إلى الشىء، والنص إلى الموضوع[٣] .

وفى "كتاب مانالاوس" وهو أطول كتب التحرير عند الطوسى يعنى التحرير نوعا أدبيا محددا وهو إعادة عرض الكتب المتوسطة فى الترتيب التعليمى مثل كتاب "الأصول" لاقليدس وكتاب "المجسطى" لبطليموس. يعنى التحرير هنا إيجاد نسق ترابط بين العلوم من أجل وحدة العلم مثل كتاب مانلاوس الذى يربط بين هندسة إقليدس وفلك بطليموس، بالاضافة إلى إصلاح الشكل أى اتقان العبارة ومقارنة النسخ المختلفة والاستقرار على نص موحد كما هو الحال فى تحقيق النصوص عند المحدثين مع التخلص من

= إلى العربية نقلا على بصيرة. وكان فى ذلك الدفتر أيضا من الكتاب من صدره إلى آخر الشكل الرابع عشر من المقالة الأولى أيضا نقل اسحق. وكان ما يذكره أوطوقيوس فى أثناء شرحه من ضمن الكتاب مطابقا لتلك النسخة فوجدت من ذلك الدفتر ما كنت أطلبه، ورأيت أن أحرر الكتاب على الترتيب، وألخص معانيه، وأبين مصادراته التى إنما تتبين بالأصول الهندسية، وأورد المقدمات المحتاج اليها فيه، وأذكر شرح ما أشكل منه مما أورده الشارح أوطوقيوس أو استفدته من سائر كتب أهل هذه الصناعة، وأميز بين ما هو من متن الكتاب وبين ما ليس منه بالاشارة إلى ذلك، وأثبت أعداد الاشكال على حاشيتها بالروايتين فان أشكال المقالة الأولى فى نسخة ثابت ٤٨ وفى نسخة إسحق ٤٣، وألحقت بآخرها مقالة أرشميدس فى تكسير الدائرة فانها كانت مبنية على بعض المصادرات المذكورة"، كتاب الكرة والاسطوانة لأرشميدس، السابق ص ٢.

(١) كتاب فى جرمى النيرين وبعديهما لأرسطوخس، السابق ص ٢-٢٠.

(٢) كتاب الطلوع والغروب لاورطولوقس، السابق ص ٢-٢٨.

(٣) كتاب فى المطالع لايسقلاوس، السابق ص ٢-٦.

الاصلاحات الخاطئة التى قام بها السابقون مثل الماهانى والهروى وإيثار اصلاح آخر مثل إصلاح الأمير أبى منصور. التحرير إذن هو عود إلى النص الأصلى من أجل رؤية الموضوع. والنص الملتبس يجعل الموضوع غامضا. وهنا يقوم الطوسى فى القرن السابع بالنسبة للنص العلمى ما قام به ابن رشد من قبل فى القرن السادس بالنسبة إلى النص الفلسفى[1]. والاحالات فى النص إلى أصحاب النسخ أى إلى النص ذاته، إلى الكتابة وليس إلى القراءة[2] . وتتردد الفاظ القول والعلم والبيان مما يدل على أن التحرير نظرية فى الايضاح[3] .

ومن الموروث "**كتاب معرفة مساحة الاشكال لبنى موسى**". يتجه الطوسى إلى الموضوع مباشرة ويبنيه عقلا على أعلى مستوى من التجريد مستعملا الاشكال والرموز تخليا عن اللغة[4] . وكذلك "**كتاب المفروضات لثابت بن قرة الحرانى الصابئى**"، لا فرق بين صابئى ومسلم ونصرانى ويهودى ومجوسى فى العلم الذى أصبح قاسما مشتركا لجميع الديانات[5] .

وقد يتجاوز إبداع الطوسى التحرير إلى التأليف مثل "**الرسالة الشافية عن الشك فى الخطوط المتوازية**" مع إشارات محدودة للواقد مثل سنبليقوس ثم اقليدس أو الموروث مثل ابن الهيثم. وتدل أفعال القول على أن الطوسى هو الذى يقول ويدرس الموضوع ويبدد وهم الشراح ومخاطبا القارىء "اعلم"[6].

---

(١) "إنى كنت أريد ان أحرر الكتب الموسومة بالمتوسطات أعنى الكتب التى من شأنها أن تتوسط فى الترتيب التعليمى بين كتاب الأصول لاقليدس وبين كتاب المجسطى لبطليموس. فلما وصلت إلى كتاب مانلاوس فى الأشكال الكرية وجدت له نسخا كثيرة مختلفة غير محصلة المسائل واصلاحات لها محبطة كاصلاح الماهانى وأبى الفضل أحمد بن أبى سعيد الهروى وغيرهما، بعضها غير تام، وبعضها غير صحيح، فبقيت متحيرا فى إيضاح بعض مسال الكتاب إلى أن عثرت على إصلاح الامير أبى منصور بن عراق رحمه الله عليه، فاتضح لى منه ما كنت متوقفا فيه، فحررت الكتاب بقدر استطاعتى"، كتاب مانلاوس، السابق ص ٢-١٤٨.

(٢) نسخة ابن عراق (١٣)، نسخة الهروى(١)، الهروى(٢)، الماهانى(١)، مانالاوس(٤) قال مانالوس يخاطب باسليوس اللاذن أيها الملك(٢).

(٣) أقول، أعلم، يستبين(١).

(٤) كتاب معرفة مساحة الأشكال لبنى موسى، تحرير العلامة الفيلسوف الخواجه نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن ١٣٥٩ هـ السابق ص ٢-٢٧.

(٥) كتاب المفروضات لثابت بن قرة الحرانى الصابئى، السابق ص ٢-١٤.

(٦) الرسالة الشافية فى الشك فى الخطوط المتوازية السابق ص ٢-٤٠ سنبليقوس، كتاب أوقليدس، =

وتكشف مرحلة الابداع الخالص عن الايمانيات والأوضاع السياسية للحكماء. اذ تبدأ بالبسملة كالعادة وتنتهى بعون الله وحسن توفيقه والحمدلة أولا وآخرا والصلاة على الرسول ظاهرا وباطنا وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار مع الترحم على المؤلف، والدعوة بالتوفيق لاكتساب رضاء الله، وهو خير موفق ومعين، وبعض الأوصاف من وحى العلم مثل مفتح الأبواب، مسهل الصعاب، واهب العقل، ملهم الصواب. ولا ضير من إضفاء بعض الالقاب على المؤلف مثل الامام، الحبر الهمام، وحيد الدهر، فريد العصر، قطب الحق والملة والدين الشيرازى، والدعوة له ثم توقيع الناسخ وتاريخ النسخ والاعلان عن نهاية الكتاب بعون الله الوهاب، وإعلان مذهب الناسخ الحنفى وموطنه الشامى، ووضعه الاجتماعى، مولى السلطان مع بعض المدائح له مثل سلطان الحكماء والعلماء المحققين، نصير الملة والدين، برهان الاسلام والمسلمين، أفضل المتقدمين والمتأخرين. كما تظهر أوضاع حيدر أباد الدكن ودفاعها عن استقلالها لا زالت شموس إفاداتها بازغة، وبدور إفاضاتها طالعة إلى آخر الزمن مع تاريخ النسخ[1] .

٣- **الفلك**. وهو علم جامع لعديد من العلوم الرياضية مثل علم المناظر الذى يجمع بين الرياضيات والطبيعيات بعد أن كان عند اليونان علما رياضيا خالصا.

أ- ابن الهيثم. مثال ذلك "**كتاب المناظر" للحسن بن الهيثم (٤٣٢هـ)**[2] . وهو نموذج الابداع الخالص الخالى من الوافد والموروث. فلا توجد أسماء أعلام من الوافد أو الموروث باستثناء علم واحد من الموروث هو أحمد بن محمد بن جعفر الكاتب[3] . وتحولت أسماء الفرق إلى مذاهب ونظريات مثل أصحاب الطبيعة الذين يتصورون

= حل شكوك كتاب إقليدس، شرح ما أشكل من مصادرات إقليدس كتاب الاصول(١)، ابن الهيثم(٣) يوحنا القسى، الجوهرى(١). أقول (٢)، توهم(١).

(١) كتاب معرفة ماهية الاشكال لبنى موسى، السابق ص ٢٧/٢، كتاب المفروضات لثابت بن قرة الحرانى الصابئى، السابق ص ١٤/٢، كتاب مأخوذات لأرشميدس ص١٧/٢، كتاب فى جرمى النيرين وبعدهما لأرسطوخس السابق ص ٢٠/٢، كتاب الكرة والأسطوانة لأرشميدس، السابق ص ١٣٢/٢، كتاب فى الطلوع والغروب لأوطولوقس ص ٢٨/٢، كتاب فى المطالع لابسقلاوس، السابق ص ٦/٢، كتاب ماناالاوس، السابق ص ١٤٨/٢، الرسالة الشافية فى الشك فى الخطوط المتوازية، السابق ص ٢-٤٠.

(٢) الحسن بن الهيثم: كتاب المناظر، فى الابصار على الاستقامة، المقالات الأولى والثانية والثالثة، حققها وراجعها على الترجمة اللاتينية عبد الحميد صبرة، الكويت ١٩٨٣.

(٣) أحمد بن محمد بن جعفر الكاتب، السابق ص ١٩٥، أصحاب الطبيعة ص ٢٤٤/١٧٨، أصحاب التعاليم ص ٦٠-٦١/١٥٣/١٥٩-١٦٠/٢٧٣/٢٩٠/٣٢١، أصحاب الشعاع ص ١٥٥/١٥٨-١٥٩، أصحاب التشريح ص ١٣٦/١٦٦.

البصر شعاعا من الشيء إلى العين، وأصحاب الرياضيات الذين يجعلون الشعاع من العين إلى الشيء حتى يتم الابصار. وكلاهما أصحاب الشعاع. وهو نفس الخلاف القديم الذى تصوره الناس بين أرسطو وأفلاطون وحاول الفارابى الجمع بينهما. كما حاول ابن الهيثم مرة ثانية الجمع بين النظريتين مما يدل عى وجود تصور واحد للعالم يجمع بين الفارابى وابن الهيثم يقوم على التوحيد وليس على التفريق. وقد اختلف الرياضيون فيما بينهم فى تصور الشعاع إلى ثلاثة آراء: جسم مصمت متصل أو خطوط مستقيمة أو قوة نورية. الخلاف فى المناظر إذن ليس فى العلم الطبيعى أى الضوء ولكن فى علاقة العلم الطبيعى بعلم النفس فى كيفية الابصار. لذلك وضع ابن الهيثم عنوانا فرعيا "فى الابصار على الاستقامة". ويراجع ابن الهيثم النظريتين ويبين الفاسد والصحيح فى كل منهما، ينقد الفاسد ويعيد تركيب الصحيح مبينا علة كل رأى[1] . وقد يرجع خطأ أصحاب التعالم القائلين بالشعاع أنهم يستعملون فى مقاييسهم وبراهينهم خطوطا متوهمة ويسمونها الشعاع. فالخطأ فى البرهان. ويتحدث أيضا عن أصحاب التشريح فى كتب التشريح لتحليل كيفية عمل العين والاعتماد على علم الطب باعتباره علما طبيعيا. فلا توجد إحالة إلى حكيم أول أو إلى حكيم ثانى ولا حتى ذكر لأشهر أقرانه مثل ابن سينا والبيرونى. اذ يعتمد على العقل الخالص وعلى النظر العقلى كما يقتضيه البرهان والتجريب وهو ما يسميه ابن الهيثم الاعتبار ويعنى أيضا الاستقراء. ويحيل إلى آراء المتقدمين جملة كوعى تاريخى بالماضى. وهى آراء مختلفة، الحقائق فيها غامضة، والشبهات كثيرة، والمقاييس متباينة، والمقدمات حسية. وقد تظهر بعض المصطلحات الموروثة مثل الاشراق بمعنى علمى أى الضوء وليس بمعنى صوفى أى فى النفس. والاشراق إما أن يكون استقامة أو انعكاسا أو انعطافا. ويحلل ابن الهيثم فى المقالة الأولى خواص البصر والضوء والعلاقة بينهما فى كيفية الابصار وآلاته، وفى الثانية نظرية أصحاب الشعاع، وفى الثالثة أغلاط البصر أى خداع الحواس.

---

(١) وهذا المعنى الذى بيناه أعنى كيفية الابصار موافق لرأى المحصلين من أصحاب العلم الطبيعى وموافق للمتفق عليه من رأى أصحاب التعاليم. وقد تبين منه أن القبيلين محقان وأن المذهبين صحيحان ومتفقان غير متناقضين إلا أنه ليس يتم أحدهما إلا بالآخر، ولا يصح أن يتم الاحساس بأحدهما دون الآخر، ولا يصح أن يكون الابصار الا بمجموع المعنين، السابق ص ١٦٠. وهو ما يسميه هوسرل فى الظاهريات فى الفلسفة الغربية نظرية الشعاع المزدوج الذى يخرج من الذات إلى الموضوع، ومن الموضوع إلى الذات حتى تتم الرؤية. انظر دراستنا L'Exegese de la Phenomenologie, Paris, ١٩٦٥ , Le Caire, ١٩٧٦, pp.٢٦١-٦٤

ويكثر ابن الهيثم من استعمال أفعال البيان لأن مهمته التوضيح والبرهان[1] . كما يحيل السابق إلى اللاحق واللاحق إلى السابق مما يكشف عن مسار الفكر ومنطق الاستدلال[2]. ويكون البيان باستقراء العلل واستيفاء البراهين[3] . وابن الهيثم هو الذى يقول وليس غيره. هو الذى يتحدث ولا ينقل أقوال السابقين[4] . هذا بالاضافة إلى وضوح اللغة والمصطلحات، وسهولة الأسلوب ودقة التحليل العلمى والاعتماد على العقل الخالص وقدرته الذاتية على البرهان. فقد كتب ابن الهيثم من قبل مقالا فى علم المناظر على نحو إقناعى، ولكن فى كتاب المناظر يعيد كتابته على نحو برهانى[5] . ويستعمل بعض الرسوم التوضيحية للاقلال من حدة الخطاب التجريدى الرمزى وبالرغم من عدم ذكره أسماء أعلام ولا آيات قرآنية ولا شواهد نقلية من الوافد أو الموروث إلا أنه يؤسس المعرفة فى النفس وفى العقل فى علم النفس المعرفى.

ويوجد عند ابن الهيثم أقل قدر من التعبيرات الايمانية فى البداية والنهاية باستثناء البسملة والحمدلة والصلاة على محمد النبى وآله فى أول كل مقالة وفى آخرها، واستمداد العون من الله فى جميع الأمور. ويشار مرتين إلى لطائف حكمة الصانع ورأفته وبديع صنعه وحسن نظام الطبيعة ولطيف آثارها. فعلم المناظر أحد المعانى التى تظهر فيها حكمة الصانع جلت عظمته ولطف صنيعه، وتلطف الطبيعة فى تهيئة آلات البصر الهيئة التى بها يتم الاحساس وبها تتميز المبصرات[6].

وفى المقالة السابعة من "الكاسر الكرى" يستمر الابداع الخالص اعتمادا على العقل المحض وبراهينه[7]. لذلك تكثر أفعال البيان ولفظ البرهان، واستعمال برهان الخلف وهو إثبات استحالة النقيض[8]. وتقل من طابع الخطاب التجريدى الرسوم التوضيحية. وكذلك الأمر فى "العدسة الكرية"[9].

---

(١) ابن الهيثم: كتاب المناظرة ص ١٣٧/٨١/٢٤٣/٨٤/١١٤-١١٥/٢١٥/١١٩-١٢٠/١٥٤/١٥٩-١٦٠/١٧٤-٣١٨/١٧٥/ ٣٨٥/ ٣٩.

(٢) السابق ص ١٣٧-١٣٨/١٥٣.

(٣) السابق ص ١٠/١٢٧.

(٤) السابق ص ١١٤/١١٨/٨٢/١٣٨-١٣٩/١٥٤.

(٥) السابق ص ٦٣/١٢٩/٣٥٦.

(٦) السابق ص ٥٩/٦٢/١٨٧-١٨٩/١٩٥/٣٣٨/٥٣٢.

(٧) ابن الهيثم: كتاب المناظر، المقالة السابعة (الكاسر الكرى)، علم الهندسة والمناظر فى القرن الرابع الهجرى (ابن سهل، القوهى، ابن الهيثم) د. رشدى راشد ص ٢٦٩-٢٩٠ وقد تبين مما بيناه ص ٢٧٦.

(٨) وإذ قد تبين ذلك ص ٢٦٩، وذلك مما أردنا أن نبين ص ٢٧٥/٢٧٨/٢٨٢/٢٨٩، برهان ذلك ص ٢٧٠ وبرهان ذلك ما بيناه ص ٢٩٠، وهذا محال ص ٢٧٢-٢٧٣/٢٧٥-٢٨٥/٢٨٦-٢٨٨.

(٩) السابق ص ٢٩١-٢٩٦.

أما فى "كيفية الارصاد" له أيضا فانه يتناول موضوع الفلك مباشرة. يغيب فيها الوافد والموروث تماما. يترك ابن الهيثم القيل والقال، ويتوجه إلى الموضوع مباشرة ثم التحقق من صحة الأقوال بمراجعتها على التجربة[1] . وكالعادة يتحدث ابن الهيثم عن فرق ومذاهب من الناظرين فى علم الهيئة ولا يذكر أسماء أعلام أو أماكن. وهناك نصوص زائدة على النص الأول إضافة من الناسخ أو القارىء أو المالك لوضع علامات للأفلاك من المستوى التجريدى للنص نقلا عن ابن الشاطر ولتعميم الفائدة وذكر المراصد منذ ابرخس وبطليموس والمأمون فى بغداد والبتانى فى الشام والحاكم فى مصر، وإحالة إلى شيخ المشايخ السيد الطحان وذكره تقويم النيرين من الزيج الحاكمى لابن يونس وتقويم الخمسة المتحيرة من الشاهى الغيبك، ومراجعة ذلك بالعين فى مصر المحروسة[2] . والرسالة تعتمد على العقل الخالص والمدخل الفلسفى النظرى من أجل تحويل الفلك إلى علم دقيق. وقد يظهر الموروث فى اللاوعى المعرفى فى التصور الاسلامى للعالم المنبثق من التوجه القرآنى نحو الكون والمطابق لنظام الكون ذاته. فعلم الفلك الذى هو من عمل الذهن هو الذى يربط بين تصور الوحى للعالم وما ينتج بالاعتبار أى بالقياس من إدراك نظام الطبيعة بدافع اشتياق النفوس إلى معرفة الحقائق مع الأخذ فى الاعتبار تغير المراصد بتغير الأماكن فى المغرب أو المشرق وأن الزمان مرتبط بالمكان[3] . ويضيف ابن الهيثم الآلات إلى الرصد، فالعمل والنظر علم واحد. ويبدو مسار الفكر فى أفعال البيان التى تكشف عن هدف التوضيح والبرهان[4] . والمقال موجه إلى المتعلمين دون المتخصصين أو المحققين[5] .

وبالرغم من قلة العبارات الايمانية التقليدية باستثناء البسملة والحمدلة إلا أن علم الفلك قريب من الأمور الالهية. لذلك يتسم بعلو المنزلة وشرف الرتبة، يحسن الظن بأهل الصناعة ومحبتهم للحق واجتهادهم فى معرفته[6] .

---

(١) ابن الهيثم : فى كيفية الارصاد، تحقيق د. عبد الحميد صبرة، مجلة تاريخ العلوم العربية، المجلد الثانى، العدد الأول، معهد التراث العلمى العربى، جامعة حلب ١٩٧٨.

(٢) السابق ص ٣٤.

(٣) السابق ص ١٢/١٤/٢٣/٢٦-٢٧/٣١.

(٤) ووجود ما يدرك بالحس من ذلك مطابقا لما يلزم بالنور البرهانى، السابق ص ١١/٢٣ لجملة العالم مع تغير أحواله، نظامه ولأنواع أجزائه مع اختلافها أتتلف ولجزئيات أنواعه تحار فى جميع ذلك الافكار وتضل فيها الأفهام، وتكثر عن تأملها الحيرة، وتعجز عن إدراكها الخبرة، ص ٤-٥.

(٥) السابق ص ١٢/١٤/٢٣/٢٦-٢٧/٣١.

(٦) "فهذا الذى شرحناه هو الطريق الذى به أدرك الناظرون فى علم الهيئة جميع ما أدركوه من كيفيات-

وفى رسالة "**الأثر الظاهر فى وجه القمر**" له أيضا جمع بين الفلك والمناظر، وطرح إشكال الموضوعية والذاتية، هل ما يرى ظاهرا على وجه القمر له وجود موضوعى أم أنه إدراك ورؤية؟ [1]. لا يعتمد على الوافد أو الموروث بل يراجع التراث العلمى كله حول الموضوع، وينقد جميع الآراء السابقة ويبين بطلانها بالتجربة دون تشخيص لها فى أسماء أعلام أو أسماء فرق أو مذاهب. فقد نقلت فى الموضوع آراء ستة كلها خاطئة، أولا أن هذا الأثر الظاهر فى وجه القمر هو نفس جرم القمر شفافا أو خشنا، ثانيا أنه خارج عن جرم القمر ومتوسط بين الجرم والبصر، ثالثا أنه صورة تظهر بالانعكاس على سطح القمر لصورة الأرض، رابعا أنه صورة البحار فى الأرض بالانعكاس، خامسا أنه صورة الجبال فى الأرض بالانعكاس، سادسا أنه صورة قطعة من الأرض بالانعكاس. وكل هذه الآراء تتأرجح بين الوجود الموضوعى للظاهرة، الرأيان الأول والثانى، والوجود الذاتى لها، صورة انعكاسية فى البصر، الآراء الأربعة الأخيرة. وابن الهيثم من أنصار الوجود الموضوعى للظاهر وهو عالم الابصار[2]. ويبرهن على ذلك بالدليل. لذلك تكثر أفعال البيان والدليل، ويتحدث بضمير المتكلم فهو الذى يبحث ويتحقق ويحكم، يطور العلم ويكمله. وتقل الايمانيات إلى أقصى حد لا تتجاوز البسملة والحمدلة[3].

ب- نصر بن عبد الله المهندس. وفى رسالة "**فى استخراج سمت القبلة**" **لنصر**

= الحركات السمائية وهيئات أفلاكها وأنواع اختلافاتها والهيئات التى ذكرناها هى غاية ما أدركوه ونهاية ما بلغ اليه، وأن ما أدرك من ذلك لعظيم فى جنب ما عليه هذا المطلوب من الغموض وصعوبة المسلك وتفند المرام ولما هو به من علو المنزلة وشرف الرتبة والقرب إلى الأمور الالهية"، السابق ص ٣٤" فلما تبين جميع ذلك واستقر، قطعوا بأن أمور الكواكب تجرى على هذا النظام لأنه موافق لما وجدوه من حركاتها وشبيه بما هو دائم البقاء بعيد من الفساد ملائم للأمور الالهية ودونوه فى الكتب، وسيروا الكواكب بحسبه، واعتمدوا عليه، وصار صناعة ينظر اليها كل من اشتاق إلى علم الهيئة ومعرفة الحقائق. ونقول من بعد هذا بغلبة حسن الظن بأهل هذه الصناعة ولمحبتهم كان للحق واجتهادهم أنهم من بعد هذا كله رصدوا من كل واحد من الكواكب ما ثبتوا لهم من الحركات، ورتبوه من الهيئات، واعتبروه وحصلوه ليزدادوا ثقة به وتيقنا له"، السابق ص ٣١-٣٢.

(١) الحسن بن الهيثم: الأثر الظاهر فى وجه القمر، تحقيق عبد الحميد صبره، مجلة تاريخ العلوم العربية، معهد التراث العلمى العربى، جامعة حلب، المجلد الأول، العدد الأول ١٩٧٧.

(٢) "وجميع هذه الآراء تبطل وتضمحل عند تحقيق النظر. ونحن نبين فساد جميع هذه الآراء ثم نبين بعد ذلك مائية هذا الأثر، السابق ص ٨" وقد تصرفت ظنون الناس فيه وتشتت آراءاهم"، السابق ص ٧. "وقد تبين من جميع ما بيناه فساد الآراء التى قدمنا ذكرها. وقد تبين أيضا أن الأثر هو نفس جسم القمر وليس لمعنى خارج عن جرمه ولا صورة"، السابق ص ١٣.

(٣) السابق ص ١٧/١٥/١٣/٧.

بن عبد الله المهندس يغيب الوافد والموروث ويتضح الدافع على الابداع الخالص[1]. وهو واقع عملى وليس مجرد حب استطلاع نظرى. وهو البحث عن سمت القبلة واتجاه الكعبة لبناء المساجد. لذلك ارتبط الفلك بالهندسة. ووسيلة ذلك إيجاد طريقة سهلة والبحث عن وسائل عملية وبرهان قصير[2]. وتقل العبارات الايمانية. تكفى البسملة والحمدلة والصلاة على النبى والدعوة بالتوفيق للصواب. وتنتهى الرسالة كوثيقة شرعية، تاريخ النقل ومكانه، ومقابلة خط الناسخ مع الخط الأصلى.

٤- **الموسيقى.** كانت الموسيقى ضمن علوم الحكمة، ألف فيها الكندى والفارابى وابن سينا وابن باجه.

أ- ابن باجه. ويتمثل الابداع الموسيقى عند ابن باجه (٥٣١هـ) فى **"من كلامه رضى الله عنه فى الالحان"**[3] . كانت الموسيقى من الموضوعات الرئيسية فى الأندلس مثلها فى البصرة وبغداد واستانبول فيما بعد. المهم عند ابن باجه هو الربط بين النغم التأليفية والأفلاك، الألحان فى الانسان والألحان فى الطبيعة، النغم فى النفس والنغم فى الكون. والسؤال هو: هل تدخل الموسيقى فى العلوم الرياضية باعتبارها تحليلا للذبذبات أم فى العلوم الانسانية باعتبارها تذوقا للانغام والمقامات؟

ب- صفى الدين الأرموى. وفى **"كتاب الادوار فى الموسيقى" لصفى الدين عبد المؤمن بن أبى المفاخر الأرموى البغدادى (٦٩٣هـ)** يغيب الوافد والموروث معا ويتم تأسيس الأنغام والأدوار بحثا عن الأسباب فى التناغم والتناظر من داخل الصوت وليس اعتمادا على الأدبيات المنقولة عن القدماء[4]. تكثر التقسيمات والرسوم الرياضية من أجل

---

(١) نصر بن عبد الله المهندس: استخراج سمت القبلة، تحقيق Richard Lorch، معهد التراث العلمى العربى، جامعة حلب، المجلد ٦ العددان ٢/١ عام ١٩٨٢.

(٢) فلأن الضرورة تدعو الناس إلى بناء المدن والمساجد فيها كذلك حاجتهم الىالمعرفة بالسمت عنه يكون نصب المحراب ضروريا وذلك أن الغرض فى نصب المحراب هو أن يكون الامام وجهه نحو البيت الحرام فان صلاة الامام هو صلاة من يصلى وراءه وطلب هذا المعنى من طريق الحساب صعب. وقد اتفق لى طريقة سهلة قريبة المأخذ بآلة تتخذ شبه نصف كرة وكنت قبل هذا ذكرت هذه الطريقة فى غير هذه الرسالة. فمن تقع اليه تلك الطريقة فيجب أن يعلم أنها ذلك، وان خالف شىء شبه هذه الرسالة فانى بعيد العهد لم أتذكره فعملت الرسالة ثانيا. وأنا أصف لك العمل بهذه الآله من هاهنا"، السابق ص ١٥٣-١٥٤.

(٣) الرسائل ص ٨٢-٨٣.

(٤) صفى الدين عبد المؤمن بن أبى المفاخر الأرموى البغدادى: كتاب الأدوار فى الموسيقى، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة وتصدير د. أحمد الحفنى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة=

إيجاد البراهين الداخلية فى الموسيقى كعلم. ومع ذلك يحضر الموروث الشرقى فى اللاوعى المعرفى خاصة الموروث الفارسى فى المصطلحات الموسيقية مثل الرست والنهفث والبوسليك والنوروز والزنكولة والزيرافكند والراهويى والبزيك والكواشت التى تبلغ حوالى نصف المصطلحات. كما تظهر أسماء المدن المحلية كمصدر ثان للمصطلحات مثل عراق، أصفهان، نهاوند والحجازين أو أسماء أعلام مثل الحسينى أو أسماء عربية خالصة مثل عشاق ونوى ومحير وعزال. كما يستعمل الشعر العربى كشواهد. فالشعر موسيقى الكلمات، والموسيقى شعر الأصوات. الموسيقى علم رياضى وعلم صرفى فى آن واحد. ويتألف الكتاب من خمسة عشر فصلا فى النغم والدساتين ونسب الأبعاد وأسباب التنافر والتلائم ونسب الأدوار وطبقاتها والايقاع والمشهور منها، وأحكام الأوتار واستخراج الأدوار منها مع قدرة على وضع مصطلحات عربية رياضية مثل الثقيل والخفيف وخفيف الثقيل، والرمل وخفيف الرمل والهزج. ونقل العبارات الايمانية الى الحد الأدنى باستثناء البسملة ومدح الله ثم التحول كالعادة الى مدح السلطان[1].

خامسا: الابداع العلمى.

١- **الابداع الطبيعى. الكندى** ظهر الابداع مبكرا للغاية عند الكندى (٢٥٢هـ) أو الفلاسفة مرورا بالسجستانى (٣٣١هـ) وابن باجه (٥٣١هـ) حتى شرف الدين الطوسى (٦٧٢هـ). وتبقى ظاهرة الابداع الفلسفى عند الكندى ظاهرة فريدة تسترعى الانتباه وفى حاجة الى تفسير. فالابداع عادة ما يكون لحظة ثالثة بعد النقل لحظة أولى، ثم التحول لحظة ثانية. عند الكندى الابداع لحظة أولى. لذلك تنقل الفلسفة من مرحلة النقل الى مرحلة الابداع مباشرة بل فى جيل واحد، وشخص واحد، هو الكندى نفسه. لذلك سمى بحق فيلسوف العرب.

أ- **الابداع المبكر.** فمن مجموع رسائل الكندى المنسوبة اليه لا يذكر أعلام الوافد إلا فى ١٤% منها، أرسطو ثم سقراط ثم أقليدس ثم أفلاطون ثم باقى الرياضيين مثل أرشميدس، واسقلاوس، ومناطقة مثل فرفوريوس وجغرافيين مثل بطليموس أو أطباء مثل

= ١٩٨٦. وقد حظى المؤلف برضى هولاكو الذى عينه وزير الاوقاف مع أنه كان نديم المعتصم المقتول، وقد ترجم الى اللغة اللاتينية وأصبح من مصادر الموسيقى الغربية.

(١) أما بعد، فقد أمر من يجب على امتثال أوامره، والتيمن بالسعى فى مسالك مرامى خواطره أن أضع له مختصرا فى معرفة النغم ونسب أبعاده وأدواره وأدوار الايقاع وأنواعه على نهج يفيد العلم والعمل فبادرت الى ما أمر به ممتثلا ويبث مما سنح للخاطر فيه"، السابق ص ٨٩.

أبقراط وجالينوس[1]. وأحيانا تذكر بعض الرسائل بأسماء الكتب الوافدة دون مؤلفيها مما يدل على تحول الكتاب الوافد الى موضوع مثالى دون مؤلفه. عاش المؤلف، مات المؤلف مثل رسائل "أثولوجيا" و"الخير المحض"[2].

ومن الرسائل المتاحة والمطبوعة حاليا، لا توجد رسائل تحتوى على عناوين وافدة من مجموع رسائله الفلسفية الخمسة عشرة بما فى ذلك "رسالة فى دفع الاحزان" إلا رسالتان، الأولى بها إسما أرسطو وأفلاطون، والثانية بها إسم أرسطو فحسب فى بيئه حضارية تقوم على الرواية والخبر[3]. وفى رسائله العلمية لا توجد أية إشارة إلى أى اسم علم إلا القدماء[4]. ولا توجد فى رسائله الأخرى المطبوعة أو المخطوطة أى اشارة الى اليونان إلا فى رسالتين، الأولى من أجل تصحيح قول أبسقلاوس وليس تبعية له. والثانية أثولوجيا أرسطوطاليس من أجل إكمال النسق العقلى بالنسق الدينى[5]. ومن مجموع الرسائل والكتب لم تظهر أسماء الوافد إلا فى ثلاثة، والرابعة تشير الى القدماء بوجه عام مما يدل على أن الاشارة المشخصة الى أفلاطون وأرسطو وأبسقلاوس تتم فى إطار حضارى عام. وقد ذكر هؤلاء الثلاثة لأنهم الأشهر فلسفيا وعلميا[6]. ومن مجموع الرسائل الفلسفية والعلمية يتصدر أفلاطون ثم أرسطو ثم سقراط والاسكندر، ثم فيثاغورس ثم بقراط ومارينوس ونيرن. يذكر أفلاطون وأرسطو وسقراط والاسكندر فى الفلسفة، وفيثاغورس فى الرياضة، وبقراط فى الطب، وأكثر من نصف الرسائل الفلسفية

---

(١) ينسب الى الكندى ٣٦١ رسالة، يذكر الوافد فى ٢٦ رسالة منها أى حوالى ١٤% من مجموع التأليف مما يدل على قدر كبير من الابداع. يذكر أرسطو (٦)، سقراط (٥)، إقليدس(٣)، أفلاطون(٢)، أرشميدس، أبقلاوس، فرفوريوس، بطليموس، ابقراط، جالينوس(١)

(٢) مثل: رسالة فى المقولات العشر، رسالة فى سمع الكيان، تفسير كتاب أثولوجيا، مختصر كتاب أبوطيقا (الشعر)، تفسير كتاب سوفسطايقا (المغالطين)، شرح كتاب أبوديقطيقا (أنالوطيقا الثانى، البرهان)، تفسير أنالوطيقا الأولى (تحليل القياس)، مختصر كتاب بارى ارمنياس (العبارة)، مختصر (جامع)، كتاب قاطيغورياس(المقولات)، كتاب الحروف، كتاب التفاحة، كتاب الخير المحض، تفسير كتاب المجسطى.

(٣) فى القول فى النفس، المختصر من كتاب أرسطو وأفلاطن وسائر الفلاسفة، الرسائل جـ١ ص ٢٧٢-٢٨١، فى كمية كتب أرسطوطاليس وما يحتاج اليه فى تحصيل الفلسفة ص ٣٦٣-٣٨٣ .

(٤) رسالة فى السبب الذى له نسبت القدماء الأشكال الخمسة الى الأسطقسات، السابق جـ١، ص ٥٤-٦٣.

(٥) رسالة فى تصحيح قول أبسقلاوس فى المطالع (مخطوط)، وتصانيف ص ٧٥، أثولوجيا، أرسطوطاليس (مخطوط)، ص ٦٩.

(٦) مجموعة الرسائل (٨٣)، أفلاطون(١٧)، أرسطو (١٦)، سقراط، الاسكندر(٤)، فيثاغورس(٣)، بقراط، مارينوس، نيرن(١).

والعلمية المنشورة لا توجد بها إشارة الى اليونان لا عامة ولا خاصة، لا فى العنوان ولا فى الصلب، لا صراحة ولا ضمنا أى أن الابداع الفلسفى والعلمى ممكن دون الغير، الوافد أو الموروث، بقدرة العقل على التركيز على موضوعه، والتأمل فى الطبيعة. الابداع الفلسفى ممكن دون اليونان[1].

أما بالنسبة الى الموروث فقد بدأ الابداع أيضا مستقلا عنه الى حد كبير كما هو مستقل عن الوافد. فمن رسائل الكندى الفلسفية اثنتان فقط يحملان لفظ الله "وحدانية الله"، "طاعة الله عز وجل"، ولا شيء فى الرسائل العلمية[2]. ورسالة واحدة بها لفظ قرآنى عام مثل الرؤيا[3]. فنسبة موضوعات الموروث فى المؤلفات المطبوعة قليلة للغاية حتى بعد إضافة موضوع الرؤية مما يدل على أولوية الابداع على الوافد والموروث معا[4]. فاذا أخذ المخطوط والمترجم فى الاعتبار تزيد النسبة قليلا على فرض أن روحانية مثل أرواح[5]. واذا أخذت كل المؤلفات المنسوبة الى الكندى المطبوعة والمخطوطة والمفقودة لا يتجاوز الموروث طبقا لعناوينها إلا نسبة ضئيلة عن التوحيد والعدل والاستطاعة والاباحة العقلية قبل الحظر. وهى موضوعات كلامية اعتزالية. وموضوعات الزجر والفأل موضوعات قرآنية. والرد على المنانية والثنوية والملحدين والنصارى فرق غير إسلامية كجزء من الفرق داخل الحضارة الاسلامية. والمنانية أهمها وهى موضوع أربع

---

(١) الرسائل الفلسفية الست: ١- فى الفاعل القريب الحق الأول التام والفاعل الناقص الذى هو بالمجاز ٢- فى إيضاح تناهى جرم العالم ٣- فى مائية مالا يمكن أن يكون لا نهاية له وما الذى يقال لانهاية له ٤- رسالة فى وحدانية الله وتناهى جرم العالم ٥- فى الابانة عن الصلة الفاعلة القريبة للكون والفساد ٦- أنه توجد جواهر لا أجسام. والرسائل العلمية الثمان: ١- فى الابانة عن أن طبيعة الفلك مخالفة لطبيعة العناصر الأربعة ٢- فى أن العناصر والجرم الأقصى كرية الشكل ٣- فى علة الثلج والبرد والبرق والصواعق والرعد والزمهرير ٤- فى الجرم الحائل بطباعه اللون من العناصر الأربعة والذى هو علة اللون فى غيره ٥- فى العلة التى لها يبرد أعلى الجو، ويسخن ما قرب من الأرض ٦- فى علة اللون اللازوردى الذى يرى فى الجو فى جهة السماء ويظن أنه لون السماء ٧- فى العلة التى لها تكون بعض المواقع لا تكاد تمطر ٨- رسالة فى تلون كون الضباب.

(٢) هما: رسالة فى وحدانية الله وتناهى جرم العالم، رسالة فى الابانة عن سجود الجرم الأقصى وطاعته لله عز وجل.

(٣) رسالة فى ماهية النوم والرؤيا.

(٤) النسبة ٤٢:٢ وباضافة الرؤيا ٤٢:٣ أى ٥% تقريبا. واذا أضيف المخطوط والمترجم تصبح النسبة ١٠%. واذا كانت رسائل الكندى ٣٦١ رسالة موضوعات الموروث منها ٢٧ رسالة أى نسبة ١٣% من مجموع التأليف فى حين أن ٨٧% ابداع خالص.

(٥) وهى: ١- مقالة فى الرد على النصارى ٢- الرسالة الحكمية فى الأسرار الروحانية ٣- رسالة فى روحانيات الكواكب ٤- رسالة فى استحضار الأرواح ٥- رسالة فى الرؤيا والمنام، تصانيف ص٧٠-٧٩.

رسائل نظرا لخطورة الثنائية على التوحيد[1]. وموضوع النبوات وإثباتها موضوع كلامي، والروحانيات والكواكب والطب واستحضار الأرواح موضوعات موروثة. ورسالة واحدة تستشهد بآية قرآنية، وأخرى تذكر الله عز وجل. فموضوعات الرسائل ثلاث كلها موروثة: كلامية وفرق وروحانيات[2]. وفى معظم الرسائل الفلسفية لا توجد آيات قرآنية الا فى ثمانية منها فى السؤال عن معنى ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾. والثانية داخل رسالة عن كمية كتب أرسطاطاليس. فالغاية إذن ليس أرسطو بل التوجه القرآنى. أرسطو مجرد مادة. المهم هو التصور الاسلامى فى النص[3].

ويمكن تصنيف كل مؤلفات الكندى فى سبعة عشر علما أو موضوعا لا تزيد العلوم الفلسفية بالمعنى الدقيق، الفلسفية والمنطقية والجدليات والنفسانيات والسياسيات والتقدميات على ربع المؤلفات، والثلاثة أرباع الأخرى كلها فى العلوم الرياضية والطبيعية. بل إن المؤلفات الفلسفية بالمعنى الدقيق لا تنفصل عن المؤلفات العلمية، وتبدو مرتبطة بالطبيعيات وبالحس وبالرياضيات والصناعة، كما أن الكتب المنطقية مرتبطة بالصناعة وبالطبيعيات وبالأصوات[4]. وبعض الموضوعات العلمية ترتبط ببعض

---

(١) مثل : ١- القول فى الرد على النصارى وإبطال تثليثهم على أصل المنطق والفلسفة،٢- رسالة فى الرد على المنانية فى العشر مسائل فى موضوعات الفلك، ٣- كتاب رسالته فى الرد على المنانية ٤- كتاب رسالته فى الرد على الثنوية ٥- كتاب رسالته فى نقض مسائل الملحدين.

(٢) كتاب فى الرد على المنانية، إحدى فرق الضلالة القائلين بالأصلين النوعيين ٧- رسالته فى مابعد الطبيعة فى الرد على المنانية ٨- فى موته دون كماله لسنى الطبيعة التى هى ١٢٠ سنة (سفر التكوين ٣:٦ "لا تحل روحى على الانسان أبدا لأنه جسد وتكوين أيامه ١٢٠ سنة) ٩- كتاب التوحيد المعروف بفم الذهب، الموضوعات الكلامية مثل: ١- كتاب فى الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد ٢- كتاب فى أن أفعال البارى جل اسمه كلها عدل لا جور فيها ٣- كتاب رسالته فى التوحيد من جهة العدد ٤- كتاب رسالته فى تثبت الرسل عليهم السلام ٥- كتاب رسالته فى الاستطاعة وزمان كونها ٦- كتاب رسالته فى التوحيد بتفسيرات (الآيات القرآنية) ٧- كتاب رسالته فى افتراق الملل فى التوحيد وأنهم مجمعون على التوحيد وكل قد خالف صاحبه ٨- كتاب فى إثبات النبوة ٩- كلام له مع ابن الروندى فى التوحيد ١٠- كلام دون على بعض المتكلمين ١١- كلام فى المبدع الأول ١٢- رسالة الى أحمد بن المعتصم فى تجويز الدعاء من الله عز وجل لمن دعا به ١٣- رسالة فى أن ما بالانسان اليه حاجة صلاح له فى العقل جل أن يحظر.

(٣) رسالة فى الابانة عن سجود الجرم الأقصى وطاعته لله عز وجل، سؤال عن معنى ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ وفى كمية كتب أرسطوطاليس ... ﴿قل من يحيى العظام وهى رميم﴾.

(٤) الارتباط ببعض المسائل العلمية فى الرسائل ١٠/٩/٨/٧، وبالطبيعيات فى ١٧/١، وبالحس فى ١٨، وبالصناعة فى ١٩. والكتب المنطقية المرتبطة بالصناعة فى ٣١، وبالطبيعيات فى ٣٠، وبالأصوات =

الموضوعات الفلسفية بالمعنى العام مثل التشابه بين رئيس البدن ورئيس المدينة فى الطبيات، والرد على المنانية، والجدل فى الفلكيات، وبعض موضوعات الأخلاق مثل الوفاء فى الأنواعيات (الكيمياء)[1]. والغالب على مؤلفات الكندى النزعة العقلية وكأن الفلسفة بدأت علمية عقلية، وأن الاشراقيات طارئة عليها ومتأخرة عنها. من حيث الكم أكثرها الرياضيات والفلكيات ثم الكيمياء ثم الفلسفة ثم الطبيعيات والجغرافيا والجدليات. وأقلها النفسانيات والتقدميات ثم السياسات.

= فى ٢٩. وفى الطبيعيات التشابه بين رئيس البدن ورئيس المدينة فى ١٢٥ . وفى الفلكيات الرد على المنانية والجدل فى ٢٥، وفى الأنواعيات (الكيمياء) فى ٢٥. وكان من الأفضل فى الرسائل المنشورة الفلسفية والعلمية تصنيفها حسب العلوم أو الموضوعات: الفلسفة وتشمل المنطق وما بعد الطبيعة (رسالتان)، والتصور الدينى للعالم (٧رسائل)، والنفس (٦ رسائل)، والعلمية فيما يتعلق بالطبيعيات والفلك والآثار العلوية. (فى الجزئين ٢٥ رسالة ١٤ فلسفية + ١١ علمية).

(٣)

العلم أو الموضوع		ابن النديم	القفطى	ابن أبى اصيبعة
الفلسفية	١-	٢٢	٢٠	٢٢
المنطقية	٢-	٩	٩	١١
الحسابيات	٣-	١١	١١	١٠
الكريات (حساب الدوائر)	٤-	٨	٨	٨
الموسيقيات	٥-	٧	٦	٨
النجوميات	٦-	١٩	١٨	٢٣
الهندسيات	٧-	٢٣	٢١	٢٥
الفلكيات	٨-	١٦	١٤	٢٠
الطبيعيات	٩-	٢٢	٢٤	٣١
الاحكاميات (المواليد)	١٠-	١٠	٩	٩
الجدليات	١١-	١٧	١٦	٢١
النفسانيات	١٢-	٥	٥	٥
السياسيات	١٣-	١٢	١٢	١٢
الاحداثيات (الارصاد)	١٤-	١٤	١١	١٨
الابعاديات (الجغرافيا)	١٥-	٥	٨	٩
التقدميات (التاريخ، الاخبار)	١٦-	٥	٤	٥
الانواعيات (الكيمياء)	١٧-	٣٣	٣٢	٤٢
المجموع		٢٤١	٢٢٨	٢٨١
مجموع العلوم الفلسفية		٦٥	٦٢	٦١
نسبة العلوم الفلسفية		٢٧٪	٢٧٪	٢٥٪

وقد قام الكندى بكل هذا التأليف دون شرح أو تلخيص أو جوامع كما فعل ابن رشد فيما بعد من أجل تمثل الوافد واستيعابه. كانت معرفته به مباشرة من الترجمة وربما كان هو مترجما. كانت الترجمة جديدة لا تحتاج الى شرح أو تصحيح فهم من سوء تأويل الشراح كما شعر ابن رشد الحاجة الى ذلك فيما بعد. وربما لأنه كان عالما يفكر على معطيات العلم، ويتأمل فى الظواهر الطبيعية مباشرة دون توسط النصوص الوافدة أو الموروثة على عكس الفارابى الذى كان يعرض الوافد، وابن سينا الذى كان ينسق الوافد وينظر الموروث. كان الفيلسوف ذا ثقافتين، وافدة وموروثة. يتلقى الموروث أولا كما تلقى الكندى علوم القرآن والدين والكلام ثم اللغة والأدب ثم الوافد، العلوم الدخيلة، مثل الفلسفة. وكان على علم باللغات السريانية واليونانية. كان أعلم أهل زمانه بأرسطو. وكان العصر يساعد على ذلك، الحرية التى أباحها الخلفاء مثل المأمون، وإباحة الكلام، وامتزاج الأديان وثقافات الشعوب. وبالرغم من أن التأليف فى موضوعات الثقافة الوافدة إلا أنه يمثل قمة الاحتواء بعد أن قام العرض والتأليف بتطويع المادة العلمية .

ومعظم الرسائل الإبداعية العلمية الخالصة إنما تثبت أيضا ردا على أسئلة من الواقع وليس تبعية للوافد كما هو الحال فى رسالة "فى مائية مالا يمكن أن يكون لا نهاية له". والاجابة طبقا لقدرة المسائل على النظر والفهم، وتكرار السؤال والجواب فى المقدمة والخاتمة مع الدعوة للسائل بالسداد والتوفيق. وهى نفس الطريقة التى اتبعها الفارابى فى "المسائل المتفرقة" وابن سينا فى "الاجابة على اسئلة البيرونى والسهلى". وكانت رسالة "الابانة عن أى جرم الفلك لا يقبل شيئا من الكيفيات الأولى" بناء على سؤال[1]. وفى باقى المؤلفات المفقودة هناك عشرات رسائل من هذا النوع، السؤال والجواب، فى الرياضيات والطبيعيات والمنطق أى فى المسائل العلمية وليس فى المسائل العملية كما هو الحال فى الفقه[2].

ويبرز هذا النوع الأدبى، السؤال والجواب، فى الابداع الفلسفى، فى السؤال عن العلة الفاعلة القريبة، وعن وحدانية الله أو عن معنى آية ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾. فموضوع السؤال ليس بالضرورة الواقد بل يكون الموروث أيضا أو ما ينتج فى الوعى

---

(١) فى مائية، رسائل جـ٢ ص ١٩٤/١٨٤/١٩٨، طبيعة الفلك ص ٤٦، العناصر جـ٢ ص ٤٨.

(٢) هذه الرسائل هى : ١- مسائل سئل عنها فى منفعة الرياضيات ٢- فى مسائل سئل عنها عن أحوال الكواكب، ٣- فى جواب مسائل طبيعية فى كيفيات نجومية، ٤- فيما سئل عنه من شرح ما عرض له الاختلاف فى صور المواليد، ٥- فى المسائل، ٦- فى مدخل الأحكام على المسائل، ٧- فى جواب أربع عشرة مسألة طبيعية سأله عنها بعض إخوانه، ٨- فى جواب ثلاث مسائل سئل عنها، ٩- مسائل كثيرة فى المنطق ونيره وحده والفلسفة، ١٠- مسائل فى مساحة الأنهار وغيرها، تصانيف ص ١١/١٧/٢٧/٤٠/٤٤/٤٦.

الجمعى من حصيلة الجمع بين الوافد والموروث. فالسؤال عن الآخر وعن الأنا، عن لسانهم ولساننا، مع الدعاء بالسداد والتوفيق[1]. السائل يسأل الحكيم فيصبح الحكيم مسؤولا. والجواب المختصر القصير أفيد عمليا من الجواب المسهب الطويل. وتكون فرصة الكندى فى هذه الدعوات التحرر من الأسلوب الركيك. فيطلق لعواطفه العنان فى السجع الأدبى واستعمال المترادفات والصور والتشبيهات التى تختفى تماما فى مرحلة النسق المنطقى عند ابن سينا، وتعود فى مرحلة المراجعة السلفية عند الغزالى والمراجعة العقلية عند ابن رشد. فالاجابة عن تحديد وقت الدعاء بناء على سؤال. والمسائل عويصة على الروحانيين. وهى مشكلة فى الواقع وليست فى الوافد، مسألة صعبة على الفلاسفة وعلى غير الفلاسفة، على الفضلاء والأرازل إلا لمن عرفوا الموضوع فى الموروث. فالموروث به حل لكل المسائل العويصة[2].

بل ان الموضوعات العلمية الخالصة أيضا كتبت كاجابات على أسئلة. فالسؤال لا يقتصر فقط على الاهتمام العام بل يتعلق أيضا بالاهتمام الخاص مثل السؤال عن علة اللون اللازوردى الذى يظن أنه لون السماء. والاجابة قدر اهتمام السائل وقدرته على الفهم مع الدعوة له بالتوفيق فى بداية الرسالة وفى نهايتها. وكذلك السؤال عن الجرم الحامل بطبعه اللون من العناصر الأربعة وهو مركب منها، والاجابة قدر فهم السائل وكأن الاجابة لها مستويات، خاصة وعامة مع الدعاء بالتوفيق. وكذلك السؤال عن الضباب والثلج، وهى ظواهر تسترعى نظر العالم والانسان العادى لما فيها من حب الاستطلاع، ضباب الصباح، والثلج على قمم الجبال يلاحظها أناس قدموا من الصحراء. والاجابة كافية، لا بالمسهبة ولا بالمخلة. ومع الثلج يكون السؤال عن البرد والرعد والبرق والصواعق القريبة والبعيدة التى قد تكون أسباب وضعها الله فى الكون. والاجابة أيضا بحسب موضع السائل من العلم والدعوة له بالتوفيق[3].

ويبدو التأليف المصطنع حتى فى الابداع الفلسفى كما هو الحال فى "الابانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد". فالابداع فى بدايته يبحث عن شكل يستقر فى نهايته. والكندى أو المبدعين مازال يبحث عن شكل الخطاب. فبعد الدعاء والمقدمة عن المنهج والموضوع تبدأ القسمة العقلية له. ثم يتعين الحديث فى الطبيعيات والالهيات ثم فى

---

(١) العلة جـ١ ص ٢١٥-٢١٦، وحداثية الله جـ١ ص ٢٠١-٢٠٢.

(٢) نصوص فلسفية مهداه، ص ٦٥.

(٣) اللون جـ٢ ص ١٠٣/١٠٨، الجرم الحامل جـ٢ ص ٦٤/١٦٨ الثلج ص ٨٠.

الحيوان والنبات والعمران. ثم تأتى الخاتمة من المنهج عودا على بدأ، وخاتمة ثانية. فالاقسام متداخلة. وكل قسمة نتيجة للأخرى. ويصعب التمييزبينها الا على وجه العموم. والرسالة ناقصة لا يوجد بها الا الفن الأول. ويبدو التأليف المصطنع أيضا فى "وحدانية الله وتناهى جرم العالم". إذ تتضمن الرسالة الدعاء ثم السؤال والاجابة. المقدمات الأولى عن المنهج ثم تطبيقاتها لاثبات الموضوع. وقد يقل هذا التأليف المصطنع حتى يمكن اكتشاف الأقسام المتضمنة فيه والتى لم تصل بعد الى حد البنية، مثل "رسالة الكندى الى أحمد بن محمد الخراسانى فى إيضاح تناهى جرم العالم". اذ يمكن التعرف على ثلاثة أقسام، الأول الدعاء القصير ثم الحديث عن منهج الفكر الرياضى. والثانى ذكر المصادرات الرياضية الأربعة. والثالث تطبيق البرهان الرياضى فى الموضوع الفلسفى وفى البرهان الفلسفى أيضا[1].

ب- فى المعادن والكيمياء. ويبدو إبداع الكندى (٢٥٢هـ) مبكرا فى العلوم الطبيعية وفى علم المعادن وفى علم الكيمياء. ففى علم المعادن رسالة "**السيوف وأجناسها**". وهى رسالة تخلو من الوافد أو الموروث ككونين علميين ولكنها تنظر للواقع تنظيرا مباشرا.[2]. ولا تنقسم أبوابا أو فصولا، ولكنها تبدأ بمقدمة عامة عن الحديد الذى تصنع منه السيوف، الحديد والفولاذ وأنواعها العتيق وغير العتيق فالقسمة أولى طرق التعريف.[3]. وتظهر البيئة الجغرافية التى تشتق منها أسماء السيوف وكلها أسماء محلية مثل فارس وسرنديب على حدود الاوطان وفى قلبها، والكوفة والبصرة وخراسان والمنصورة وخسروان ودمشق ومصر وبغداد. وقد تكون النسبة الى شخص مثل زيد. وتظهر أسماء الأقوام مثل الروم والشراة والفرنجة. وقد يحال الى العصور والأزمان مثل الجاهلية. ويظهر الجناح الشرقى فارس والهند قدر ظهور الجناح الغربى، روما والفرنجة وكما تبدأ بأمر مولانا الامام أن يرسم أوصاف السيوف بقول يعم اجناسها تنتهى بالدعوة له بطول العمر والبقاء.[4].

---

(١) الابانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد، الرسائل جـ١ ص ٢١٤-١٣٧، رسالة الكندى الى أحمد بن محمد الخراسانى فى ايضاح تناهى جرم العالم، رسائل جـ١ ص ١٨٦-١٩٢.

(٢) الكندى: السيوف وأجناسها، أخرجها القائمة قام عبد الرحمن زكى، المدرس المنتدب بمعهد الآثار.

(٣) الحديد ينقسم الى معدن وما ليس بمعدن أى الفولاذ. والفولاذ ينقسم الى العتيق والمحدث وما ليس بعتيق ولا محدث ينقسم الى غير مولد سليمانى وغير مولد سرنديبى. والسرنديبية تنقسم الى أربعة أقسام، والمولد الى خمسة أقسام.

(٤) الأنواع أحد عشر نوعا وهى : اليمانية، القلعية، السلمانية، السرنديبية، البيض، الفرنجية، المولدة، =

وفى علم الكيمياء كتب الكندى رسالة ثانية "**فيما يطرح على الحديد والسيوف فلا تتثلم ولا تكل**"[1]. والموضوع عربى أصيل منذ الشعر العربى قبل الاسلام فى مجتمع قبلى محارب، وإسلامى فاتح. ومنهج الكندى الكيمياء العملية وما وقعت له من معاناة فى الموضوع. فالكيمياء ممارسة عملية أكثر منها بحثا نظريا. فالرسالة فى صناعة السيوف بحيث لا تثلم ولا تتآكل ابتداء من برادة الحديد وسقاياتها، وآلات قطع السيوف والزجاج. كما تقوم على منهج القسمة مثل قسمة الحديد الى لونين، ذكر وأنثى ثم انقسام الذكر الى قسمين، والأنثى الى قسمين، فالمنطق آلة للعلم والعقل مدخل الى الطبيعة.

وتخلو الرسالة من الأبواب والفصول. إنما تبدأ كثر من الفقرات بتعبير "نوع آخر" طالما أن الرسالة فى أنواع الحديد والسيوف. والقليل "باب آخر" أو كلاهما" باب نوع آخر" أو "آخر" فحسب. وتظهر البيئة المحلية فى اشتقاق الأسماء مثل الفرس والحجاز وسرنديب. وقد تختلف الأسماء والمسمى واحد. وتظهر البيئة الشرقية الهندية مثل برادة الزماهن وصفة السيوف الهندية. والأسلوب لم يستقر بعد من ناحية التأليف العربى كما هو معروف فى خطاب الكندى. والرسالة موجهة الى المعتصم أمير المؤمنين والدعوة له "أدام الله تعالى عزك، وحرس أيامك". وتظهر العبارات الايمانية خلال الرسالة مثل "ان شاء الله تعالى"، فى آخر كثير من الفقرات. وتنتهى بالصلاة على محمد وآله وسلم.

٢ – **الابداع الطبى**. ويتركز الابداع العملى فى الابداع الطبى أكثر من باقى العلوم الطبيعية كالطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والمعادن. وقد بلغت شهرة الطب العربى الآفاق. والعلم جزء من الفلسفة. والعلماء هم الفلاسفة[2] . ولم تكن الفلسفة علما مجردا بل كانت تجارب حية للفلاسفة الذين كتبوا سيرا ذاتية تعبر عن مسارهم الفلسفة أو كتبها تلاميذهم نيابة عنهم[3]. وبالرغم من أن التأليف كان أقرب الى الجمع ثم الاضافة، وضع الأدبيات السابقة مع الموضوع، فتاريخ العلم جزء من العلم، إلا أن الابداع العلمى واضح يتجاوز الوافد والموروث المشخص فى أسماء الاعلام والمصنفات الى الحديث عن القدماء أو المتقدمين. ليس العلم آخر مرحلة فيه بل هو تاريخه أيضا لمعرفة تطور العلم

= المحدثة البصرية، الدمشقية، المصرية، الزماهن.

(١) الكندى: رسالة فيما يطرح على الحديد والسيوف فلا تتثلم ولا تكل، ص ١٥٩–١٧٦ وعنوانها فى المتن "فى اتخاذ جواهر الحديد للسيوف وغيرها من الأساحة وسقايتها وأنواع الحديد التى تطبع بها السيوف وما يطرح فيها".

(٢) وهذا عكس ما هو سائد فى الحضارة الغربية أن العلم ضد الفلسفة وعلى نقيضها.

(٣) وذلك مثل سير حنين بن اسحق، الرازى، والغزالى. وسيرة البوزجانى عن ابن سينا.

ومراحله. فلعل أزمة العلم فى عصر تجد حلا لها فى تاريخه[1]. الجديد يخرج من القديم ويتجاوزه ولا ينقطع معه ويناقضه. وهو نمط تطور الوحى ومراحله، المسيحية من اليهودية والاسلام من المسيحية، نموذج التواصل والانقطاع فى آن واحد. لذلك ضم الطب العربى طب الاغريق وطب باقى الشعوب مع طب العرب.

أ- الرازى. وبالرغم من دخول "الحاوى" و"المنصورى" فى أشكال التأليف الأخرى إلا أن "تقرير الرازى حول الزكام المزمن عند تفتح الورد" للرازى (٢٥١-٣١٣هـ) يمثل نموذجا للابداع الخالص فى الطب. يخلو من الوافد والموروث على حد سواء[2]. ويأخذ شكل السؤال والجواب، وهو شكل التأليف الفقهى كما هو معروف فى أحكام السؤال والجواب فى علم أصول الفقه، وأسلوب القرآن فى الاجابة على اسئلة فى صيغة ﴿ويسألونك عن ... ﴾ والتى عرفت بمصطلح اسباب النزول. فهو تقرير وضعه الرازى لمعالجة أبى زيد البلخى (٢٣٦-٣٢٢هـ) أستاذه الذى كان يعانى من الزكام. وانتهى الرازى الى اكتشاف الطب الجغرافى، طب الفصول الأربعة وطب النباتات أى طب البيئة. ولا يضم من العبارات الدينية فى البداية والنهاية أكثر من البسملة والحمدلة والصلاة على خير خلقه محمد المصطفى وآله وصحبه.

ب- ابن سينا. وتمثل أعمال ابن سينا الطبية الصغرى نماذج من الابداع العلمى الطبى بالرغم من صمت ابن سينا عن مصادره على نحو ظاهر فى باقى المؤلفات[3]. تمثل هذه الرسائل الصغرى أعمالا فلسفية إبداعية بالأصالة وليست أعمالا تجميعية كما هو الحال فى "الشفاء". وصيغتها إما السؤال والجواب كما هو الحال فى النوازل فى الفقه أو الشعر، شكل التعبير العربى الأول الذى جاء القرآن لوراثته. وهو الذى بدأ التخصص فى الطب كما وضح ذلك فى "الاختصاص". وفى نفس الوقت حاول إقامة الطب على أسس فلسفية كما فعل ابن رشد فى "الكليات" فيما بعد. فليس الطب مجرد علم عملى للعلاج. ألقابه كثيرة ومتعددة مثل: حجة الحق، رئيس العقلاء، أمير الأطباء، أبقراط

---

(١) هذا على عكس الغرب الحديث الذى يفصل بين تاريخ العلم والعلم من أجل ضرب مؤامرة الصمت عن مصادره والترويج لأسطورة الابداع العبقرى الذاتى على غير منوال سابق.

(٢) الرازى: تقرير حول الزكام المزمن عند تفتح الورد، تحقيق د. فريدون، زهاو، مجلة تاريخ العلوم العربية، معهد التراث العلمى، جامعة حلب، المجلد الأول، العدد الأول ١٩٧٧.

(٣) ابن سينا: من مؤلفات ابن سينا الطبية: كتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الانسانية، كتاب الادوية الطبية، الأرجوزة فى الطب بالاضافة الى أرجوزة فى تدبير الصحة فى الفصول الاربعة، دراسة وتحقيق د. محمد زهر البابا، معهد التراث العلمى العربى، جامعة حلب ١٩٨٤

العرب، أرسطو الاسلام، المعلم الثالث، الشيخ الرئيس، شرف الملك (بعد أن تقلد الوزارة). دخلت كثير من الأفكار الشرقية والغربية فى مؤلفاته بالاضافة الى الموروث الشيعى إلا أنه كان قادرا على تمثل ذلك كله وتجاوزه الى الابداع الخالص. يغلب على أعماله الطب ثم الرياضيات ثم اللاهوت ثم الفلسفة ثم علم النفس ثم المنطق ثم التفسير، بالاضافة الى مراسلات ومؤلفات فى الزهد والقصص والعشق والموسيقى[1]. ووضع نوعا من "لسان العرب" لم يتم.

ففى رسالة "**رفع المضار الكلية عن الأبدان الانسانية أو تدارك أنواع الخطأ الواقع فى التدبير" لابن سينا (٤٢٨هـ)**[2] يحصى الأمراض الكلية بداية بالكليات كما هو الحال فى الفلسفة، ويؤسس الطب على المنطق. ويدل تعبير "الأبدان الانسانية" على النزعة الانسانية فى الطب. فالابدان ليست مجرد آلات عضوية صرفه. كما أن النصف الثانى من العنوان يشير الى الطب الوقائى السابق على الطب العلاجى. ويصف ابن سينا أنواع الخطأ فى الهواء والحمام والطعام والماء والمشروبات والحركات والاستفراغ. وتخلو الرسالة من الوافد والموروث تماما، وابن سينا قادر على على ذلك وهو المعروف باخفاء مصادره. يرجع فى التفصيلات الى الأدبيات السابقة. ويكتفى برصد الأمور الكلية تصنيفا وجمعا. يبدأ بالقول. فهو المؤلف وليس الآخر. ويعبر فى تركيز شديد، متوجها نحو العمل، واضعا الطب فى بيئته، مكتشفا الطب الجغرافيا أو الجغرافيا الطبية، ومدركا أهمية الحمام فى العلاج. يحيل اللاحق الى السابق، والسابق الى اللاحق لبيان وحدة الفكر. ويتحدد الغرض الكلى للرسالة ومسارها البرهانى دون تكرار ما هو معروف سلفا. وهو شرط الابداع. وبين البسملة والحمدلة التقليديين يتم الانتقال من مدح الله الى مدح السلطان[3].

---

(١) عدد الاعمال: الطب (٤٣)، الرياضيات(٤١)، اللاهوت(٣١)، الفلسفة(٢٦)، علم النفس(٢٣)، المنطق (٢٢)، التفسير (٢).

(٢) السابق ص ١٢-١٣/٧٣، "الا أن غرضنا فى هذا الكتاب كما أمرنا به الاختصار وإفادة العمل دون إفادة حقيقة العلم، وأن نجتنب الكلام فيما كفيناه وسلف للمتقدمين فيه العناية به. فلذلك لم نشتغل بالمجتنبات، واشتغلنا بالمعدلات. فلنعد الآن أصناف الخطأ الواقع فيها لا على سبيل التقسيم بل على سبيل التصنيف والجمع بوجه كلى"، السابق ص ٥٣.

(٣) "ان الشيخ الجليل أبا الحسن بن محمد السهلى، وهو من عرف بعلو الهمة، وشرف الأروعة، ومحبة العلوم الحقيقية، والأخذ فيها بالحق الأوفر وارتباط المبرزين فيها وتحصيلهم عنده من حيث كانوا واحدا بعد واحد لما اصطنعنى بنظمى فى عقد جملته، وضمنى الى زمرته أمرنى فيما أمر من الأوامر الحكمية أن أعمل كتابا فى رفع المضار الكلية للأبدان الانسانية. إذ تأمل الكتب الطبية فوجدها قد صرف فيها أكثر العناية الى تحذير الأمور الضارة، وقصر فيها كل التقصير فى تدارك ما يقع =

وتخلو "رسالة الادوية القلبية" له أيضا من الوافد والموروث، باستثناء الحديث عن الحكماء والأطباء على العموم. وتعتمد على العقل الخالص والرؤية الفلسفة العامة التى يتأسس عليها علم الطب مثل نظرية الخلق، ومفهوم الحياة، ودور الأفلاك والأجسام السماوية. وكل شيء فى بدن الانسان خلقه الله لوظيفة. فغائية الله هى غائية الطبيعة[1]. ويجد ابن سينا البرهان على ذلك، ويزيل تناقض الفكر، ويحدد معانى الألفاظ، وينعى جهل الأطباء، ويتحدث بضمير المتكلم[2]. ومع البسملة والحمدلة كالمعتاد يتم الانتقال بسهولة من مدح الله الى مدح السلطان[3].

ولما كان الشعر هو ديوان العرب ووسيلتهم فى التعبير، نظم ابن سينا "أرجوزة" فى ذكر الأمور الطبيعية وتقسيم الطب الى علم وعمل. تحتوى على أكثر من الف بيت تختصر كتاب "القانون" وتصوغه شعرا حتى يسهل حفظه. وبحر الرجز سهل التعليم. لم تكن أول قصيدة علمية. سبقتها قصيدة خالد بن يزيد فى السيمياء. عيبها فقط ضرورة الحفظ، والاختصار، وعدم الشاعرية، واستبدال الكلمات من النساخ، والانتحال الجزئى. ومع ذلك شرحها كثيرون من الأطباء. لم يذكر فيها وافد ولا موروث إلا مرة واحدة ذكر بقراط فى بيت للحفاظ على الوزن والايقاع ولضرورة الشعر وفى إطار من تصحيح نظريته بعد مراجعتها دون الاعتماد عليها أو استعمالها. فابن سينا فيلسوف وأديب يخضع الأدب للفلسفة نثرا وشعرا وينقد أدعياء العلم.

وتقسم الطب إلى علمى وعملى. ويشمل العلمى أربعة أمور: الأمور الطبيعية، وأحوال البدن، والأسباب، والعلامات. ويشمل العملى أمرين: حفظ الصحة، ومعالجة المرض[4].

= للمتهورين الواقعين فيما حذروه المخالفين لما أمروا به. فتلقيت أوامره العالية بالطاعة بقدر الاستطاعة، ورجوت أن تنتج بركة طاعتى لولى نعمتى ضروبا من التوفيق يقصر عنها ذات مقدرتى، واستعنت بالله نعم المعين"، السابق ص ١١.

(١) ان الله تعالى خلق التجويف الأيسر من تجويفى القلب خزانة للروح ومعدنا لتولده. وخلق الروح الحيوانى مطية للقوى النفسانية تسر بها فى الأعضاء الجسدانية، السابق ص ٢٢١.

(٢) السابق ص ٢٣٥-٢٣٦/٢٤٧-٢٤٩.

(٣) كتب الشيخ الرئيس.. الى الشريف السعيد أبى الحسين بن على بن الحسين الحسينى. ورد على أمر السيد أن أجمع لمجلسه مقالة تشتمل على أحكام الأدوية القلبية أتحرى فيها الاختصار فتلقيته بالطاعة، وسألت الله التوفيق والعصمة... وقد حان لنا أن نتمم المقالة حامدين الواهب القوة على تتميمها ولله الحمد والمنة وهو حسبنا ونعم الوكيل، السابق ص ٢٢١/٢٩٤.

(٤) الأمور الطبيعية هى: الأركان(ماء، هواء، تراب، نار)، الأخلاط (صفراء، دم، سوداء، بلغم)، الامزجة (مفردة، مزدوجة)، الأعضاء الأصلية (المنى، الطمث، الجنين، التشريح)، الأرواح (عوامل نفسية،=

وتبرز المصطلحات الفلسفية الطبيعية عند ابن سينا مثل العقل والطبيعة والقيمة[1].

وكما تبدأ الأرجوزة بالبسملة وتنتهى بالحمدلة يتم الانتقال كالعادة من مدح الله الى مدح السلطان، ومن طاعة الله الى خدمة الملوك والأمراء، ومن دعاء الله الى طلب الحاجة عند الخلفاء. كما عبر ابن سينا عن الطب شعرا حتى يزين به المجالس ويطلع الموك على القوانين الطبية، والذين يفهمون الشعر أكثر مما يفهمون الطب، لا فرق فى ذلك بين سنى وشيعى[2].

أما "أرجوزة فى تدبير الصحة فى الفصول الاربعة "له أيضا فهى أصغر من أرجوزة الطب وأكثر تخصصا فى الطب الجغرافى أو الجغرافيا الطبية[3]. فقد نظم الله الفصول الأربعة فأصبحت للأزمنة طبائع كما أن للأغذية والأدوية فوائد. ويزيد الناسخ

= وحيوانية وطبيعية)، القوى والأفعال (الجذب والدفع). وأحوال البدن هى: الصحة والمرض ولا هذا ولا ذاك. والأسباب هى: الهواء، والطعام والشراب، وحركة البدن وسكونه، وحركة النفس وسكونها، والنوم واليقظة، والاستفراغ والاقتباس. والعلامات سواء الشعر وكثرة اللحم، وكثرة الشحم، والذكورة والأنوثة، وسرعة النبض، ورائحة البول ولونه وضعفه، ورائحة البراز ولونه، وكثرة النوم وقلته. والطب العملى يشمل حفظ الصحة الغذاء والشراب، والدواء، والأفعال، والأمكنة والفصول، وحالات النفس وتشمل معالجة المرض الأغذية والدواء المفرد، والدواء المركب، وعدم الجمع بين الفصد والدواء، والاستحمام، والنوم، والسن... الخ، السابق ص ٧-١٠.

(١) مثل وقسم العقل على البرية .. والحس والحياة بالسوية
واعتلق الجميع بالطبيعة .. فاكملت حكمته البديعة
فعند ذلك فاز بالفضيلة .. من نزه النفس عن الفضيلة، السابق ص ٩.

(٢) لما جرت عادة الحكماء وفضلاء القدماء بخدمة الملوك والأمراء والخلفاء والوزراء ورؤساء القضاة والفقهاء بتصانيف المنثور والمنظوم، وفى تواليف الصنائع والعلوم لا سيما شعراء الأطباء فانهم كثيرا ما وضعوا الأراجيز، والفوا الكنانيش ليتبين ألكنهم من راجزهم وماهرهم من عاجزهم فأنتج ذلك اطلاع الملوك على القوانين الطبية والمناهج الحكمية. ولما رأيت صناعة الطب بأرض فارس عارية عن محاضرات المجالس ومناظرات البيمارستانات والمدارس وقد استباح الطب من لا مادة له من فنونه، ولا معرفة له بقانونه، ولا صورة له فى نفسه، ولا سيما مع قلة درسه، فتصدر وتشيخ من لم يكن له فى الصناعة رسخ. لذلك جريت على سنن القدماء، واتبعت سنن الحكماء، فخدمت حضرة سيدنا الوزير الفقيه الأجل القاضى السنى المحل أطال الله بقاءه، وأدام عزه وعلاه، وكبت حسدته وعداه بهذه الأرجوزة المشتملة من الطب على جميعه ومن تقسيمه على بديعه، وكسوتها دار الكمال، وحلة الجمال بسهولة المضمون، وخفة الموزون لتكون أيسر طلبا وأقل تعبا. وهو اذ نظر اليها بفهمه، وحصلت فى خزائن علمه استعان فيها على العالم الجليل بالجزم القليل وحاز بين الصناع والرعاع والمبتدىء والمنتهى، والمحقق والممخرق، وإلى الله أرغب فى المعونة الى ما يقرب اليه ويزلفه لديه، فهو المستعان، وعليه التكلان"، السابق ص ٨٩.

(٣) تشمل ١٤٧ بيتا فقط.

البسملة والحمدلة، حوالى سبع آبيات كعمل مشترك بين المؤلف والناسخ[١].

جـ- ابن النفيس. وقد ساهم **ابن النفيس (٦٨٧هـ)** فى الابداع الطبى قدر مساهمته فى أشكال التأليف الأخرى ابتداء من الشرح والتلخيص[٢].

ففى "رسالة الاعضاء" يغيب الوافد والموروث، باستثناء ابن سينا مرة واحدة لبيان وحدة عمل ابن النفيس وشرحه لكتاب "القانون" فى الطب إشارة خارجية وليست فى النص نفسه كإحالة داخلية[٣]. وبدل شرحه لعلم الحديث على وحدة المعرفة النقلية والعقلية. وتظهر النزعة الانسانية فى تصورة للطب "فى بيان احتياج الانسان الى الأعضاء الرئيسية ومواضعها" وأيضا "فى نواحى الانسان والاستدلال على أخلاقه من بقية أعضائه"، وفى "المقارنة بين الانسان والحيوان". فالطب علم انسانى قبل أن يكون علما طبيعيا[٤]. ويبدأ ابن النفيس مثل ابن سينا وابن رشد بالقول الكلى قبل الأجزاء. ويتصور الانسان من أعلى الى أسفل، من الرئيس الى المرؤوس، من القلب او الدماغ الى الأعضاء الخادمة له. فهناك مركزان، القلب والدماغ. وربما أربعة: القلب، والدماغ، والكبد، والانثيان. والأسلوب دقيق واضح بلا حشو أو إنشاء. لذلك جاءت الفصول قصيرة التركيز على العلم وحده وليس سياقه الاجتماعى. ويستعمل ابن النفيس ضمير المتكلم المفرد فى أفعال القول. فهو الذى يدرس ويحلل ويصف الأشياء. دون نقل وشرح للأقول[٥]. ويقدم ابن النفيس فلسفة فى الطب تقوم على وصف الأعضاء ووظيفة البدن بلغة الوجوب أى ضرورة الطبيعة. تبارك الله أحسن الخالقين[٦].

ويعد البسملة والحمدلة يتم التحول من صفات الله الى صفات السلطان بل تزيد صفات السلطان عن صفات الله. وكلما زاد تعظيم الله والسلطان زاد تحقير العبد الفقير الى رحمته تعالى[٧].

---

(١) يقول راجيا ربه ابـن سـينا .. ولم يزل بالله مستعينـا
ان أسطقسات الوجود أربعة .. أودع فيها الله سرا أبدعه
سبحانه أبدعهـا بحكمـته .. طبيعة قائمة بقدرته، السابق ص ١٩٥.

(٢) ابن النفيس : رسالة الأعضاء، دراسة تحقيق يوسف زيدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩١.

(٣) هذا هو المذهب المشهور. وأما رأينا فيه فقد بيناه فى كتابنا فى شرح كتاب القانون للشيخ الرئيس أبى على ابن سينا قدس الله روحه، السابق ص ٩٢.

(٤) السابق ص ٩٧-١٠١/١٦١-١٦٦/١٦٩-١٧١/١٧٥-١٧٨.

(٥) السابق ص ١٠٥-١٠٧/١١١-١١٣.

(٦) السابق ص ٩٢/١٣٥، ويمكن مقارنة ابن النفيس مع موريس ميرلوبونتى فى فلسفة الجسم والوجود فى العالم.

(٧) قال الفقير الى الله تعالى على بن أبى الحرم القرشى عفا الله عنه: إن المقدم العالى، المولوى، اللبيرى، -

وفى "**المختار من الاغذية**" له أيضا يغيب الوافد والموروث على الاطلاق[1]. ويتم التوجه الى الموضوع مباشرة، الأغذية لأصحاب الأمراض على نحو عملى رصدى إحصائى صرف دون افكار أو تصورات أو دلالات، أقرب الى القاموس منه الى الفكر مثل ديسقوريدس وابن البيطار. والعبارات الايمانية قليلة للغاية لا تتجاوز البسملة فى البداية والحمدلة والصلاة على محمد وآله فى النهاية.

وفى "**الموجز الطب**" **لابن النفيس (٦٨٧ هـ)** يصل الابداع الطبى الى مداه.[2] إذ يغيب الوافد والموروث كلية، لا جالينوس ولا ابن سينا[3]. ومع ذلك تظل بعض الكلمات المعربة مثل كيموس، ديابيطس التى استقرت فى الطب مثل باقى الأسماء المعربة المستقرة مثل موسيقى وجغرافيا وهندسة. ومن ثم فانه يكون موجز لكتاب "القانون فى الطب" لابن سينا باستثناء التشريح ووظائف الأعضاء ومن ثم يكون أدخل فى التلخيص لأن ابن النفيس لم يصرح أن الموجز اختصار لا اسما ولا مقدمة كما هو الحال فى باقى مؤلفاته الشارحة مثل "شرح تشريح ابن سينا". بل إنه لا يعرض آراء ابن سينا بل ينقده كما نقد جالينوس فى عمل القلب والرئتين. بل كان يفضى من كلام جالينوس ويصفه بالعى والاسهاب الذى ليس تحته طائل[4]. هو مؤلف إبداعى مستقل، يضم علم الطب فى نسق عقلى محكم وبطريقة القوانين الكلية حتى فى الطب العملى. كان يكتب من الذاكرة وليس من مصادر طبية سابقة. وكان الدافع مراعاة المشهور فى أمر المعالجات من الأدوية والأغذية أى القواعد الطبية العامة، اكتمال العلم بعد تطوره. وتدل كثرة الألقاب على تفرد مؤلفه وإبداعه وشموله. فقد ألف فى الفقه وأصول الفقه والحديث والسيرة والنحو والبيان[5].

= السفهسلارى، المجاهدى، المرابطى، المؤيدى، المظفرى، المنصورى، العالمى، العادلى، الحسامى، حسام الدين خليل أمير المؤمنين لازال محروس الجناب، عالى الركاب، أجل من أن يخدم بالأشياء الدنيئة الدينارية... فرأيت أن أقدم بها (الرسالة) جرايته العالية لأشرفها باسمه، وأعلى قدرها برسمه، السابق ص ٨٧-٨٨.

(١) ابن النفيس، المختار من الأغذية، دراسة وتحقيق د. يوسف زيدان، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة ١٩٩٢.

(٢) ابن النفيس: الموجز فى الطب، تحقيق عبد الكريم العرباوى، مراجعة د. أحمد عمار، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، القاهرة ١٩٨٦.

(٣) يذكر جالينوس مرة واحدة فى آخر سطر فى الكتاب كصاحب دواء، "واستعملوا دواء جالينوس وغيره من العلاج المذكور"، السابق ص ١٢٦.

(٤) له مؤلفات أخرى شارحة. فقد شرح كتاب القانون فى الطب لابن سينا كله فى عشرين مجلدا وشرح مفردات القانون. وشرح كتب بقراط كلها. كما شرح مسائل حنين بن اسحق بالاضافة الى التعليقات على كتاب الأوبئة لأبقراط وعلى تكهناته فى "شرح تقديمات المعرفة"، السابق ص ١٢-١٦.

(٥) مثل: الشيخ الامام، العالم، الحبر الكامل، قدوه العلماء، ورئيس الحكماء، فريد عصره، ونسيج وحده =

ويقوم على قسمة رباعية تبدأ من الكلى الى الجزئى ثم الى الكلى من جديد. أكبرها الفن الثالث عن الأمراض الخاصة بكل عضو ثم الثانى عن الأدوية والأغذية المفردة والمركبة ثم الرابع عن الأمراض التى لا تخص العضو وأخيرا الأول قواعد الطب النظرى والعملى[1].

كما يجمع بين النظرى والعملى. والنظرى يقوم على تحليل الأمور الطبيعية ثم أحوال البدن، فالبدن جزء من الطبيعة، الانسان عالم أصغر، والعالم إنسان اكبر. وبتفاعل البدن مع الطبيعة تظهر الأسباب والدلائل[2].

وبالرغم من الطابع القاموسى للكتاب إلا أن منطق الاستدلال فيه واضح، وتدل عليه أفعال البيان. يجمع بين القياس والتجربة. وتستعمل التشبيهات من أجل توضيح المصطلحات الطبية بعد اشتقاقها اليونانى مثل "البحران" وهو الوقت الذى يبلغ فيه المرض شدته بحيث يتحول الانسان من الصحة الى المرض أو من المرض الى الصحة[3]. فالمرض هو العدو الباغى، والبدن هو المدينة، والطبيعة السلطان المدافع عنها والبحران يوم القتال الفاصل[4].

تقل فيه التصورات والموضوعات الدينية بل تغيب غيابا شبه كلى. فالارواح وهى القسم الخامس من الأمور الطبيعية فى الطب النظرى لا تعنى النفس كما يراد بها فى الكتب الالهية بل تعنى جسما لطيف بخاريا يتكون من لطافة الأخلاط كتكون الأعضاء عن كثافتها وهى الحاملة للقوى، وأصنافها [5]. وفى أقل القليل، وتظهر العبارات الايمانية خلال الكتاب سؤال الله التوفيق والعصمة وتنتهى بعض الاجزاء بالتعبير الشهير "والله

= المتطبب، السابق ص ٣١.

(١) رتب الكتاب على أربعة فنون : ١- فى قواعد جزئى الطب، النظرى والعملى بقول كلى (٤٦). ٢- فى الأدوية والأغذية المفردة والمركبة(٦١).٣- فى الأمراض المختصة بعضو عضو وأسبابها وعلاماتها ومعالجاتها (١٤٥). ٤- فى الأمراض التى لا تختص بعضو دون عضو وأسبابها وعلاماتها ومعالجاتها (٥٤)، السابق ص ٣١.

(٢) النظرى يشمل أجزاء أربعة : العلم بالأمور الطبيعية، العلم بأحوال بدن الانسان، العلم بالأسباب، العلم بالدلائل. والأمور الطبيعية سبعة: الأركان، المزاج، الأخلاط، الأعضاء، الأرواح، القوى، الأفعال. وتضم أحوال البدن الصحة والمرض ولا صحة ولا مرض. والطب العملى يشمل حفظ الصحة وعلم العلاج (التدبير والأدوية واليد). والأمراض العامة التى لا تخص عضو عضوا ستة: الحميات، والبحران، والأورام، والكسر، والزينة، والسموم.

(٣) مثل: سنبين ذلك، السابق ص ٧٨/٢٨٤.

(٤) السابق ص ٢٩٠.

(٥) السابق ص ٣٥.

أعلم" تواضعا وتركا المجال مفتوحا لتقدم العلم. ويروح العالم المؤمن بعض وصف القوى والاحساس بالتوافق بين العقل والطبيعة والوحي ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [1].

و"المهذب فى الكحل المجرب لابن النفيس" (٦٨٧هـ) يمثل أيضا نموذجا للابداع الخالص[2]. يغيب فيه الوافد والموروث باستثناء جالينوس مرتين الأولى للمناطفة والثانى اسم دواء، ولفظ اليونانى ثلاث مرات كالفاظ وإحالة الى معنى قول الرسول عن فوائد إثمد، إنه يحد البصر وينبت الشعر، وأيضا الى رؤيته وهو فى يثرب نعش النجاشى وهو فى الحبشة وهى خارج الرؤية بالعين[3].

ومع ذلك تذكر أسماء الفرق دون الاشخاص مثل أصحاب الشعاع الرياضيون، الطبيعيون، الفلاسفة، الأطباء، الآخرون. ولا تذكر أسماء الأعلام حرصا على التجريد، والتمييز بين النظرية وصاحبها، بين بناء العلم وتاريخ العلماء مثل الاحالة الى القائلين بالمخروطين المصمتين، والقائلين بالمخروطين غير المصمتين، والقائلين بخروج خطين، والقائلين بورود والشبح[4]. والمرة الوحيدة التى ذكر فيها اسم علم ابن البيطار إحالة إليه بعد الاقتباس من كلامه من الناسخ، زيادة فى أحد المخطوطات[5].

والاسم نفسه يدل على المنهج "المهذب فى الكحل المجرب". فالمهذب أى المختصر المفيد، والكحل أى العين، فالكتاب فى العين، والمجرب إشارة الى منهج التجربة وكيف أن ابن النفيس يعرض أقوال السابقين على التجربة للتحقق من صدقها دون الاعتماد على سلطة جالينوس من الوافد أو ابن سينا من الموروث، وهو الذى كان يحفظ القانون ظهرا عن قلب.

ويعتمد ابن النفيس أيضا على القياس. فالعلم بناء نظرى عقلى متسق. ويتطابق التجربة والعقل يصدق العلم. ولو كان الموروث ظاهرا لصدق الوحى. يعرض لمذاهب العلماء فى الرؤية، ويذكر حجج كل فريق. ثم يبطل آراء المخالفين، ويدحض حججهم

---

(١) السابق ص ١١٢/٤٦/٣٦/٣١ فلنختم الكتاب حامدين لله ومصلين على خير رسله محمد وآله وصحبه. نجز فى شهر ذى العقدة ستة ثلاث وتسعين وستمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل، السابق ص ٦،٣.

(٢) ابن النفيس : المهذب فى الكحل المجرب، تحقيق د. محمد ظاهر الوفائى، د. محمد رواس قلعة جى، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم، الدار البيضاء ١٩٨٨ .

(٣) جالينوس السابق ص ١٤٦/٥٧، لفظ اليونانى ص ص ٣٧٤/٢٥٧/٧٣ ، الرسول ، السابق ص ٢٠٨، رؤية الرسول، السابق ص ٨٣.

(٤) السابق ص ٨٦-٨٧.

(٥) السابق ص ٢١٠.

وينصر الحق الذى هو مذهبه، ويورد الأدلة على صحته، ويرد على الشبه التى تقال حوله ويحل شكوكه[1]. يبدأ بالتاريخ وينتهى بالبنية. تتوالى الآراء ثم تكتمل الحقيقة.

العين هي بؤرة التحليل. ولا يكتفى بالعين العضوية بل أيضا فى اختلاف الحيوانات بحسب العين، وفى خواص الانسان فى أمر العين، وأعين السودان كحل جاحظة، وأعين الترك ضيقة، وأعين الأعراب نجل متسعة، وأعين المصريين صغار فوق كبر الأنوف[2].

وينقسم الكتاب الى نمطين، القواعد والتفاريع أى الأصول والفروع. وينقسم كل نمط الى عدة جمل، الأول إلى جملتين وقواعد العمل. وتنقسم كل جملة الى أبواب، والجملة الأولى إلى أربعة: خلقة العين وفعلها، وأمراضها وأحوالها، وعلاماتها، والثانية الى بابين حفظ الصحة وعلاج الأمراض. وينقسم النمط الثانى، وهو الأكبر كما الى سبع جمل: الأدوية، الأصول العملية، الأمراض الخارجية، أمراض الوسط، أمراض المقلة، أمراض القوة الباصرة، أحوال المقلة، أمراض باقى العين. ثم تنقسم الجملة الأولى الى ما بين الأصول العملية وأحكام الأدوية. وتنقسم الجملة الثانية الى بابين: أمراض الجفن وأمراض الموق، والجملة الثالثة الى أربعة أبواب: أمراض الطبقة الملتحمة، وأمراض القرنية، وأمراض العنبية، وأمراض الحدقة وأمراض المقلة[3]. فالقسمة عقلية تقوم على

---

(١) الفصل الرابع: فى مذاهب العلماء فى الرؤية. الخامس: فى ذكر حجج القائلين بهذه الآراء السادس: فى إبطال آراء المخالفين ودحض حججهم ونصرة الحق الذى هو مذهبنا. ٧- فى بسط الكلام فى تحقيق مذهبنا وتثبيته . ٨- فى شبه يمكن إيرادها على مذهبنا فى الابصار. ٩- فى حل هذه الشكوك، السابق ص ٨٦-٩٧.

(٢) السابق ص ٤٢-٤٦.

(٣)

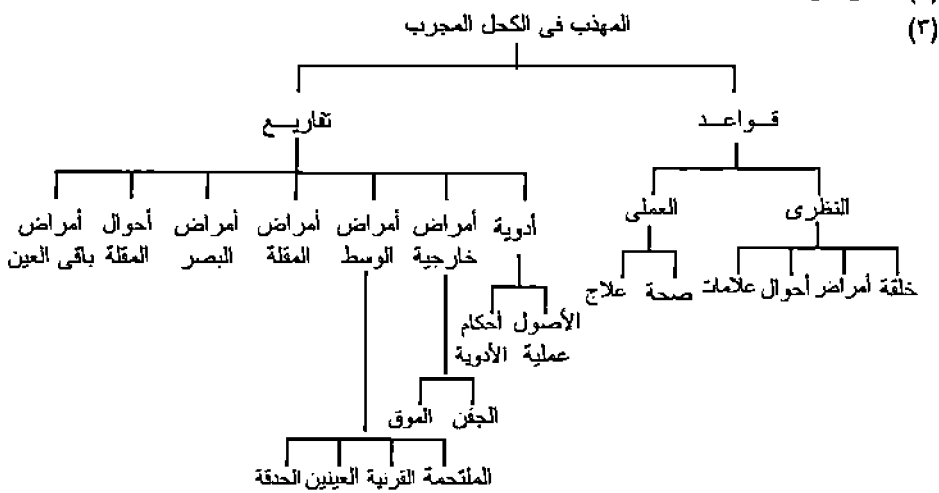

بنية عقلية مثل نظرى- عملى، أصل - فرع، أحوال- علامات، داخل- خارج، وقاية - علاج، مفرد- مركب، كلى - جزئى.

ويحيل السابق الى اللاحق، واللاحق الى السابق، بالتذكير والتقديم والتأخير والتنبيه[1]. كما أنه يرد على الاعتراض مسبقا، ويأخذه بعين الاعتبار فى بنية العقل[2].

وبالرغم من الطابع الابداعى الخالص إلا ان العبارات الايمانية كثيرة ومتنوعة. فلا تعارض بين الايمان والابداع. الايمان تقوى والابداع عقل مثل: "والله تعالى أعلم"، و"الله أعلم"، "إن شاء الله"، "والله هو الموفق للصواب". وقد يكبر التعبير ويصبح "مستعين بالله وحده لا شريك له وهو أعلم". وكثير من هذه العبارات زيادة من النساخ لأنها توجد فى بعض النسخ دون الأخرى مما يدل على قلتها فى نص ابن النفيس لانشغاله ببناء العقل الخالص[3].

د- القليوبى. وفى" تذكرة" **شهاب الدين أحمد بن محمد سلافة القليوبى الشافعى من القرن الحادى عشر** يظهر نوع أدبى جديد هو "التذكرة" بعد "الجامع" [4]. وهو أقرب الى الكناش القديم أى مجرد تجميع أقوال، وصفات طبية مباشرة ذات توجه عملى ودون أى أساس نظرى أو دلالة فكرية. فهو إيداع بالذاكرة أى القدرة على استيعاب المصب دون الروافد، وهو ما يتطلب قدرة على التركيز على الشىء دون روائه، على المتن دون السند. يخلو من أسماء الأعلام مثل جوامع ابن رشد. وفى نفس الوقت يغيب المنهج، قياسا أو تجربة، أقرب الى النتائج الجاهزة منه الى البحث عنها: ومن ثم يغيب المسار الفكرى، المقدمات والنتائج، ومنطق الاستدلال. ويرث الفقهاء الأطباء كما هو واضح فى ألقاب المؤلف "الشافعى" بدلا من "الحكيم الفاضل". لذلك تدخل بعض الطلاسم والخرافات كوسيلة للعلاج وتحول الطب العلمى الى طب شعبى[5].

هـ- ابن شقرون. وتعتبر **"الأرجوزة الشقرونية" لعبد القادر بن شقرون من**

---

(١) وذلك فى عبارات مثل: "وستعرف ذلك"، "كما ستعرفه"، "لما قدم ذكره"، "قبل ذلك"....الخ.

(٢) ويتضح ذلك من عبارات: وليس لقائل أن يقول، "ولقائل ان يقول، "والذى نقوله نحن".

(٣) والله تعالى أعلم (٥٠)، والله أعلم (٣٨)، والله أعلم وأحكم، والله تعالى أحكم وأعلم، والله تعالى أعلم وأحكم (١)، إن شاء الله تعالى(٦)، إن شاء الله (٢)، والله الموفق للصواب، والله هو الموفق للصواب (٣)، والله تعالى أعلم بالصواب(٢)، والله أعلم وأحكم بالصواب، والله تعالى أعلم وأحكم وهو الموفق للصواب، والله تعالى الموفق للصواب، والله الموفق، وبالله التوفيق(١)، باذن الله (١).

(٤) شهاب الدين أحمد بن محمد سلافة القليوبى الشافعى: تذكرة، على هامش مختصر تذكرة الامام السويدى فى الطب، مكتبة القاهرة، بالصنادقية بالأزهر، لصاحبها على يوسف سليمان (د.ت).

(٥) السابق ص ٨/٨٨-٨٩.

القرن الثانى عشر آخر محاولة فى طب المغرب للتعبير عن الطب شعرا دون إحالة الى الوافد أو الموروث بل عودا الى ثقافة العرب الأولى كأداة للتعبير عما اختزنته الذاكرة العربية لما أبدعه العقل العربى سلفا[١]. وهى من وزن الرجز، إجابة بالشعر على سؤال بالشعر. العصر انتكاس فى الطب ولكن الشكل الأدبى إبداع خالص. تحول الشعر الغنائى العربى التقليدى الى شعر تعليمى. واستطاع الشعر قبل الوحى احتواء الحضارة بعد الوحى كأداة للتعبير. ويغلب على الأرجوزة التوجه العملى، التغنية والصحة والعلاج بالأعشاب كما هو الحال فى الطب المتأخر. ومع ذلك يعتمد الطب فى الأرجوزة على العقل والقياس حتى يكون مفهوما[٢]. ولا حرج من تخصيص فصول للجماع والذكر. والموضوعات كلها محلية، الطب البيئى المباشر بمصطلحات عربية أصيلة كالخلق والطبع ومنهج التجربة والمجربات على المأكول والمشروب والملبوس. وذلك مثل الأبيات عن فواكه الفصول[٣]. ويتم التعبير عن مضمون العبارات الدينية التقليدية شعرا فى البداية والنهاية على أساس العقائد الأشعرية. فالله خالق كل شىء، والطبيعة تعمل بأمره، الخير من الله، والشر من النفس، ودعوة الله للهداية. وتشتق صفات الله من الطب والنبات والطبيعة، والنهاية بالصلاة والسلام على الرسول وخير الاتباع[٤].

---

(١) عبد القادر بن شقرون: الأرجوزة الشقرونية، تحقيق وتعليق د. بدر التازى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤ وتتكون من ٦٧٤ بيتا..

(٢) ٣٧٤- القول فى الخضر والبقول .. كما اقتضته حكمة العقول.

٤٣٣- البرد طبعه كذا الترفاس .. من كمئة كما اقتضى القياس، السابق ص ١٢٣/١٤١/١٥٧.

(٣) الأبيات من ١-٢١.

(٤) الأبيات ٦٦١.